وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسـم: التاريخ

العبيد السود و دورهم في بلاد المغرب بين القرنين 6هـ/9هـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي تاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

*من إعداد الطالبتان:

– فريوة هند

– كانش فاطمة

*إشراف الأستاذ :

– بن خيرة أحمد

اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصيفة
بشير غانية	استاد مساعد	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أحمد بن خيرة	استاذ محاصر أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
‘أسماء بن عماره	استاذ مساعد ب	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

المـوسم الـــــجامعي 2023–2024م/1444–1445هـ

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسـم : التاريخ

العبيد السود و دورهم في بلاد المغرب بين القرنين 6هـ/9هـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي تاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

*من إعداد الطالبتان:

- فريوة هند
- كانش فاطمة

* إشراف أستاذ:

- بن خيرة أحمد

اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصيفة
بشير غانية	استاد مساعد	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أحمد بن خيرة	استاذ محاصر أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
،أسماء بن عماره	استاذ مساعد ب	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

المـوسم الـــــجامعي 2023–2024م/1444–1445هـ

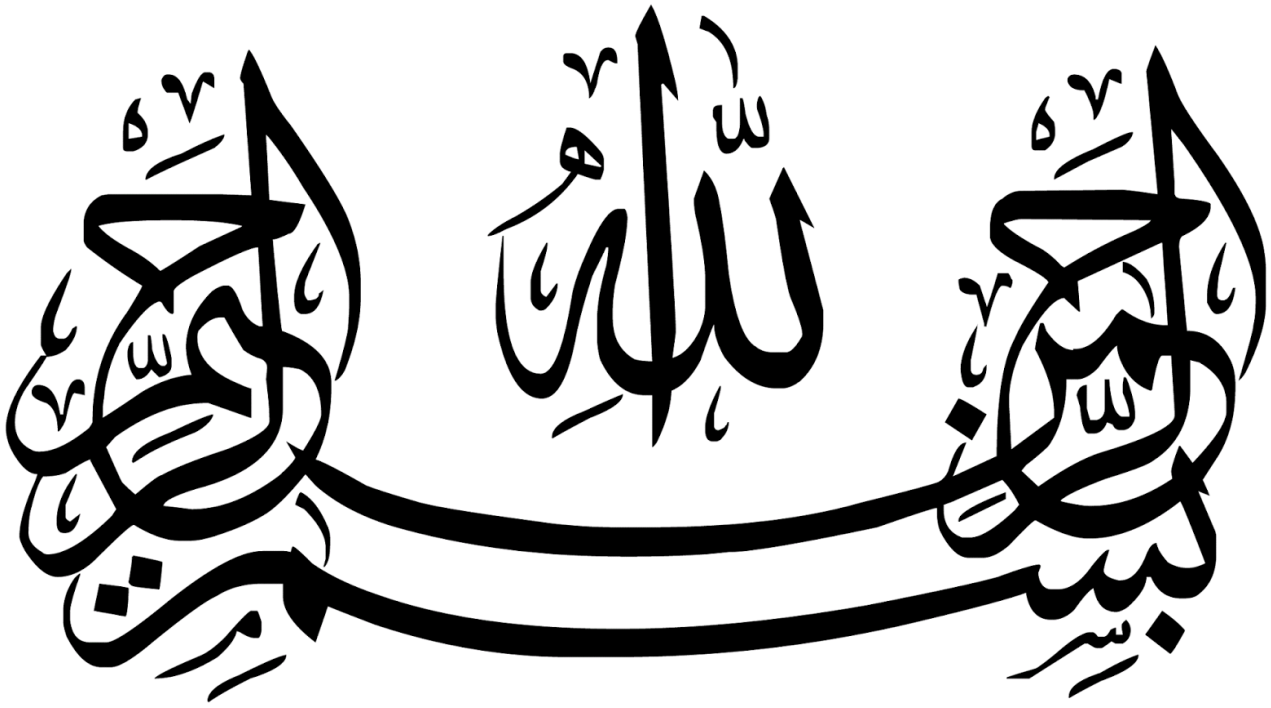
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء الأول

إلى من قال لي ذات يوم أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لفاطمة أنت

أم أبيك "وها أنا أقولها لكي فهلا كنتي حملها" أقول لك سأعمل جاهدة على ذلك،

إلى ذلك الرجل العظيم الذي تعلمت منه البر والعطاء والسير في حوائج الناس

أبي الغالي أطال الله في عمره وأمده الصحة والعافية

إلى تلك العظيمة التي جعلت الجنة تحت قدميها والصبر ملئ كفيها والطيبة شيء يخصها والحنان

ينبوع بصدرها إلى التي أنجبت وأرضعت وربت وبتشجيعها إلى هذا المقام وصلت أمي الحبيبة

إلى سندي الدائم إلى من وقف بجانبي وشجعني على أن أكمل مسيرتي الدراسية

إلى من كان العون والمدد زوجي الغالي أدامك الله نورا لا ينطفئ من حياتي

إلى قرة عيني وفرحتي في هذه الحياة أبني العزيزين عبد الوهاب وأروى.

إلى عائلتي و عائلة زوجي بابا الغالي وخالتي العزيزة أطال الله في عمرهما.

إلى رفيقة دربي وصديقة طفولتي وزميلتي في هذا هند

إلى كل الزملاء والزميلات أخص بالذكر عفاف آمنة فتحية سليمة.

فاطمة

الإهداء الثاني

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها، إلى التي أعطتني العطاء

والحنان ورعتني بالمحبة أمي الغالية

إلى والدي وحبيب قلبي الذي رباني على القيم والأخلاق الذي علمني كل

ما هو جميل الذي علمني العطاء وعزة النفس والمثابرة.

إلى زوجي الغالي الذي كان لي خير سند وتحمل معي عناء مدة مزاولتي الدراسة.

إلى ابني الغالي *عثمان* حفظه الله ورعاه إلى إخواني وأختي الوحيدة إلى كتاكيت البيت آمان– شاهين

إلى كل أفراد عائلتي وعائلة زوجي.

إلى صديقتي ورفيقة دربي وصديقة الطفولة فاطمة

إلى صديقاتي وزميلاتي في العمل سناء* كريمة* يمينة* خديجة* قدرية*

إلى كل من ساعدنا وساهم في مساعدتنا سوى من قريب أو بعيد.

هند

الشكر والعرفان

قال رسول الله ﷺ: " من لم يشكر الناس لن يشكر الله "

لحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، والحمد الله أن وفقنا في طلب العلم وإتمام هذا العمل.

وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على صفوة خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله،

سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

- ✓ نتقدم بأجمل عبارات الشكر والامتنان من قلوب فائضة بالمحبة والاحترام والتقدير له، ونقدم أزكى تحياتنا وأجملها بكل إخلاص، شاكرين لك كل ما قدمتِه لنا من نصائح وإرشادات في إشرافك على هذا البحث، فلك منا كل الشكر والامتنان والتقدير للأستاذ الفاضل: **بن خيرة أحمد** .
- ✓ كما نتوجه بأرقى عبارات الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة مذكرتنا.

ونتقدم بالشكر إلى كل أساتذتنا الذين درسونا خلال سنوات الدراسة، وكذا الأسرة الجامعية التي رافقتنا طيلة مشوارنا الدراسي، فشكرا لكل من ساهم من قريب أومن بعيد من أجل وصولنا لهذه المرحلة المهمة

مقدمة

العبودية ظاهرة قديمة قدم الحضارات الإنسانية وهي نزعة قائمة على الاستغلال والاستبداد المميز للسلوك الإنساني، وإذا تحدثنا عن موضوع الرق كظاهرة اجتماعية يتبادر إلى الأذهان التصنيفات التي طالت المجتمع وقسمته إلى طبقات أحتل فيها الرقيق مكانة وضيعة، وقد عرف المغرب الإسلامي على غرار المشرق ظاهرة الرقيق الذب ورث النجارة فيه عن الحضارات الكبيرة القديمة وخصوصا الحضارة البيزنطية وبعد الفتح الإسلامي تشكل واقع جديد في بلاد المغرب حيث ظهر نظام عبودي جديد وفق الإسلامي في المشرق فتنوعت أصناف العبيد الذين تشكلوا فئه كبيرة كان لهم الدور الفاعل على المستوى السياسي و الاقتصادي والعسكري، ولدراسة هذا الموضوع طرحت أمامنا الإشكالية التالية: مكانة العبيد السود بين الموروث الحضاري والتعاليم الإسلامية في مجتمعات بلاد المغرب في القرنين 6و 9هجري ومنها تنبثق عدة تساؤلات فرعية:

- العبيد السود بين المكانة والأدوار
- إلى أي مدى خضع نظام الرق في بلاد المغرب إلى المعاملة وفق تعاليم الإسلام
- كيف كانت المؤشرات المتبادلة بين بلاد المغرب والسودان الغربي من خلال العبيد السود

أسباب اختيار الموضوع

هناك جملة من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع منها:

- الرغبة الذاتية في تناول هذا الموضوع نظرا الأهمية التاريخية.
- قلة الدراسات التي تتناول هذا الموضوع.
- الرغبة في التعرف على بلاد السودان الغربي
- الرغبة في معرفة أداور العبيد السود في بلاد المغرب.
- تسليط الضوء على السودان الغربي الذي جلب منه العبيد السود .

أهمية الموضوع

تكمن أهمية موضوع البحث في التعريف بالرق و ببلاد المغرب والأدوار التي توصلوا إليها في بلاد المغرب، ومدى تأثيرهم في مجالات الحياة المختلفة، و أهم المناصب التي توصلوا إليها

منهج الدراسة

لقد أتبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي الوصفي الذي يتسم بالدقة والموضوعية في سرد الأحداث كما تخلله المنهج التحليلي و يظهر ذلك في الأدوار التي توصل إليها العبيد السود، إما المنهج الوصفي فقد اعتمدنه في وصف الموقع الجغرافي للسودان الغربي ووصف حالة العبيد السود في مأكل وملبس ومسكن ووصف المهن التي تقلدوها.

خطة البحث

ولدراسة الموضوع بدقة اعتمدنا على خطة تتكون من ثلاثة فصول و مقدمة و خاتمة للموضوع مفتتحين بذلك بفصل تمهيدي الذي أعطينا فيه لمحة عامة عن الرق و العبيد ووصف لجغرافية منطقة السودان أما في الفصل الأول قمنا بدراسة حياة العبيد السود في بلاد المغرب والذي يحتوي على ثلاث عناصر، أما العنصر الأول تناولنا فيه وصف مأكل العبيد السود، العنصر الثاني قدمنا فيه وصف ملبس ومسكن العبيد السود، اما العنصر الأخير به الرق والخدم والمهن المنوطة بهم ، أما الفصل الثاني فقد قمنا بدراسة : مكانة العبيد في السود في المجتمع بلاد المغرب و الذي بدورة به ثلاثة عناصر اما العنصر الأول به مكانة العبيد السود لاقتصادي، أما العنصر الثاني فقد درسنا فيه مكانة العبيد السود السياسي كيف تقلدوا المناصب السياسية في الدولة ،أما العنصر الثالث فقد عرجنا فيه عن مكانة العبيد السود العسكرية، والعنصر الأخير تناولنا به مكانة العبيد السود في مجال التعليم والتربية، أم بخصوص الفصل الأخير فقد قدمنا من خلال بحث هذا ملامح التحولات العامة في مكانة العبيد و الذي به ثلاثة عناصر اما العنصر الأول تناولنا به أسباب التحولات العامة في مكانة العبيد ، العنصر الثاني تجارة الرقيق قبل الإسلام، والعنصر الثالث العبيد السود في ظل النظام الإسلامي

الصعوبات

لقد وجهتنا جملة من الصعوبات خلال بحثنا منها: قلة المصادر و المراجع المتخصصة لدراسة هذا الموضوع إلا أذا استثنيانا بعض الإشارات في ثنايا تلك المصادر، إضافة إلى ضغوطات العمل و الارتباطات العائلية.

المصادر و المراجع

ومن أجل لإثراء بحثنا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع منها: كتاب الرق في بلاد المغرب و الأندلس الانتشار العربي لعبد الله بن بمليح، كتاب المسالك و الممالك للبكري جزئه الثاني، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج2.

الفصل التمهيدي: ضبط مفاهيم الدراسة

1- مفهوم الدور

2- مفهوم الرق

3- السودان الغربي

الفصل التمهيدي: ضبط مفاهيم الدراسة

1-مفهوم الدور

الدور في اللغة: دار يدور دورًا هو التوبة أو المنابة التي يقوم بها الفرد فنقول فلان دار أي قام بفعل الدوران[1].

الدور اصطلاحا: هو سلوك الفاعل في علاقته مع الآخرين إذا مناظرنا إلى هذا السلوك في سياق أهمية الوظيفة للنسق الاجتماعي[2] و يمكن تعريفه من الناحية الإجرائية بأنه المهمة و الوظيفة التي الفرد ومنه في عمل ماء أو في نشاط معين الذي يكون فيه فعال[3].

2-تعريف الرق:

الرق لغة: كلمة مشتقة من فعل رق و استرق و رق الحُر أي دخل في الرق و جرى عليه ما يجري على المملوك من بيع أهبة أو عتق أو غير ذلك ويقال للذر مُرق، وللأنثى مرقه، و استرق فلان فلانًا أي جملة رقيقًا أو عاملة معاملة الأرقاء، وورد في لسان العرب لابن منظور" الرق بالكسر" الملك والعبودية ويطلق لفظ الرقيق على العبد والأمة مفردًا أو جمعًا، وسمي العبيد رقيقًا لأنهم يرقون لمالكهم و يخضعون له، وأصل الرق الخضوع والذل والضعف هو الملك والعبودية ومنه الرقيق، وهو المملوك كلا أو بعضًا، وبالنسبة للذكر والأنثى وكلمة رقيق تطلق على المفرد والجمع، كما تجمع على أرقاء والرقيقة مؤنث رقيق و جمعها رقاق، ورقائق لكنها قليلة الاستعمال[4].

الرقيق اصطلاحا:ويعرف الفقهاء الرق بأنه عجز حكمي شرع في البداية جزاء من الكفر الأصلي لأن الكفرة لما استكفوا أن يكونوا عباد الله وتمردوا وأعلنوا الحرب لئلا تكون كلمته هي العليا وجازاهم بأن سلبهم حرية التصرف[5].

وقد يكون الرق جزاء في حالة البقاء إنما يكون بالحكم الثابت من الله بلا جناية من العباد كالمولود من المسلم رقيقا،وإن لم يجد منه ما يستحق به الرق وفي الحالتين فإن الرق هو مطلق العبودية غير أن الله تعالى لم يسلبهم حقوق الإنسانية فأوجب على مالكيهم الرفق بهم و الإحسان لهم[6].

---

[1] مصطفي إبراهيم و آخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د ط، إسطنبول، 1960، ص 303.

[2] أحمد سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع، دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1979، ص 204.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف، القاهرة، ج 2، د.ت، ص 129.

[4] ابن منظور : لسان العرب بيروت ، 1987 ، ص 346

[5] إبراهيم القادري ، الإسلام السري في المغرب العربي ، سينا للنشر ، ص 230.

[6] عبد الله بن بمليح: الانتشار العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004 ص 66- 70.

وهو عجز لان الرقيق لا يملك ما يملكه الحر من شهادة العدل والقضاء والولاية ومالكية المال والتزوج ومن غير ذلك ، وللرقيق أسماء أخرى منها ما ذكر في القرآن كالرقبة وملك اليمين والعبد والمملوك والفتى والفتاة والأمة و منها ما لم يذكر في القرآن كالجارية و الغلام والخادم والمولى والخص.

ويسمى الرقيق عبدا و تطلق هذه التسمية على الذكر والأنثى وهي لفظ مشترك بينهما وبين العبد والحر فكانت صفة فيقال الرجل عبدًا[1]، ومصدر العبد هو العبودية والعبودية أصلها الخضوع والذل ويقال عبدت فلانا إذا ذللته واتخذته عبدا ، العبد في الاصطلاح خلاف الحر وفرق الناس بين العبيد والعُبَاد فجعلوا العبيد جمع العبد من الملك و العباد جمع العبد لله في إفريقية وبلاد المغرب كان مصطلح عبد يطلق على جميع أنواع الرق من سود و البيض ومن هنا استعمل الرقيق والعبيد بنفس المعنى، ملك اليمين لغة هو كل ما يملكه الفرد فقد سمى الرقيق مملوكا وجمع مماليك وهو اسم مفعول مشتق من فعل و يعني الشخص الذي يمتلكه أي العبد، وأطلق عليه اسم الخادم أي خدم و خدام على الذكر و على الأنثى التي يقال لها كذلك خادمة و هو الشخص الذي يعمل لغيره في مقابل طعام بطنه وهو أيضا المملوك.

ومصطلح المولى و يطلق على الشخص الذي يتولى غيره أي يكون مسؤولا عن غيره[2]، فالعبودية مؤسسة اجتماعية و اقتصادية قائمة على أساس استغلال الأشخاص الضعفاء، وقد عرفتها مختلف المجتمعات القديمة، واستمرت إلى يومنا متخذة أشكالا عديدة ومختلفة عبر العصور، ولعلى أكبر المجتمعات شهره بهذه روما التي كرست استغلال العبيد في شتى الميادين وفي مختلف أقار الإمبراطورية بما في ذلك بلاد المغرب وسخرهم لخدمة مصالحها وذلك باستنزاف قواهم و استغلالهم وذلك لتوفير مختلف حاجياتهم الغذائية[3].

ويعتبر الاسترقاق حالة غير طبيعية من ناحية وحالة عرضية من ثانية وقوله الخليفة عمر بن الخطاب الشهيرة ذات دلالة في هذا المجال" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار" فالاسترقاق حالة لاحقة تصيب الإنسان في تحركاته اليومية إما من خلال مشاركته في حرب أو تمرد أو عصيان أو من خلال تعرضه للخطف على حين غرة أو يضطر إلى ذلك اضطر لجريمة ارتكبها أو لديّن تراكم عليه ولم يجد سبيلا إلى أدائه غير بيع نفسه أو أولاده.

[1] عبد الإله بنمليح : الرق في بلاد المغرب و الأندلس ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 2004،ص 12 – 17.

[2] جوري زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي طبعة جديدة ، راجعها وعلق عليها حسين مؤنس ، دار الهلال ،ج5 ، ص 31.

[3] بن منظور : المصدر السابق ، ص 347،.

3- مصطلح السودان الغربي

راج استعمال مصطلح السودان أو بلاد السودان في الأدبيات التاريخية والجغرافية الإسلامية بعد احتكاك المسلمين بالشعوب الإفريقية القاطنة في جنوب الصحراء الكبرى تمييزا لهم عن الشعوب البيضاء، أما بالنسبة للجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين فقد كانت بلاد السودان تعني لهم منطقة أوسع بكثير من المنطقة المسماة حاليا بالسودان الغربي، فهي المنطقة التي يسكنها السود وتمتد جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي إلى بلاد النوبي على نهر النيل، والتي نمت عددا من الوحدات السياسية مثل جاو، وتكرور، وغانة، ومالي وقد ارتبطت هذه المنطقة بعلاقات تاريخية وصلات تجارية وثقافية مع بلاد المغرب منذ أمد بعيد بفضل تسير الاتصال بين المنطقتين[1]، أما من الجانب السياسي فتعتبر مملكة غانا أول تنظيم سياسي متطور عرفته بلاد السودان خلال العصر الوسيط والتي ظهرت لأول مرة في التاريخ كبلاد للذهب في أواخر القرن 2هـ/8م وتتأتي بعدها مملكة مالي التي شكلت إلى جانب لممالك الأخرى التي عرفتها السودان الغربي السمات والخصائص المحددة والواضحة لهذه المنطقة لفترة طويلة من الزمن[2]، أما بالنسبة لدخول الإسلام لهذه المنطقة فقد لعب فيه القرب الجغرافي دورا كبيرا، ويبقي دور المرابطين كبيرا في ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي لهذه البلاد وقد انتشر الإسلام بالحواضر الكبرى ثم انتقل تدريجيا حتى عم جل أوساط السودان الغربي[3].

هذا باختصار بعض المعلومات التي من خلالها تعرفنا على مصطلح السودان الغربي الذي سيكون أحد المصطلحات المفتاحية في موضوعنا.

[1] عبد الإله بن مليح :الرق في بلاد المغرب و الأندلس ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2004.ص 12.ص 17.

[2] ابن الوزان الزياتي: وصف جغرافي لبلاد السودان، تنسيق ورفع عبد الكافي، ترجمة د عبد الرحمان، مكتبة الأسرة، 2005، ص82.

[3] مقادم عبد الحميد: المدارسي العلمية ودورها الثقافي في السودان الغربي مالي- سنغاي، 7-10هـ/ 16-13م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراء في تاريخ الحضارة الإسلامية، نعمية عبد المجيد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية فتم الحضارة الإسلامية جامعة بن بلة، ص75-77.

الفصل الأول: حياة العبيد السود في بلاد المغرب

1- وصف مأكل العبيد السود

2 -وصف ملبس ومسكن العبيد السود

3-الرق والخدم والمهن المنوطة بهم

الفصل الأول: وصف حالة العبيد السود في بلاد المغرب

مثلما كان موضوع السكن والغذاء موضوعا مهم يصور لنا الوضعية الاجتماعية للعبيد السود في بلاد المغرب يأتي جانب أخر بالغ الأهمية إلا وهو لباس هؤلاء العبيد فهم كان لباسهم مميز أو مثلهم مثل باقي أفراد المجتمع ومن كان المسؤول على لباس هؤلاء العبيد؟.

1- وصف مأكل العبيد السود

السكن و الغذاء: من خلال وظائف العبيد المختلفة التي كانت سائدة في بلاد يكون بصفة تلقائية مسكنهم فتوزعت تبعا لإقامة العبيد بصفة عامة بين الأسرة التي كان يتولى خدمتها ،و بين البلاط الملكي حيث اختلفت خدماته فيه كحرس أم خدم و غير ذلك، وهذا في حالة إذا ماكان هؤلاء العبيد لا يملكون سكن خاص مستقل عن بيت الأسرة، وربما في أقصى الحالات كان يفرد بيت ما للخذم لدى الأسر الميسورة.

وهناك إشارة تفيد بإمكانية توفير سكن خاص للرقيق ويتعلق الأمر أثناء زواج الإماء أي أنه يجب توفير مسكن خاص يجمعها بزوجها وأبناءها تحت سقف الزوجية، وهو ما نستفيده من إشارة أحد كتاب الأحكام وهو يكتب عن نفقة الأئمة المتزوجة التي تقع « على زوجها حرًا كان أو عبدًا بوأها السيد معه بيت أم لا » ويبدو أن النفقة تسقط عن السيد في حال إقدامه على إسكان أمته مع زوجها في بيت خاص.[1]

من خلال ما ذكر أن النفقة على الإماء مقابل السكن فإذا سكنت الآمة المتزوجة في بيت وفره لها سيدها و إن ترك لها و لزوجها أمر اختيار سكن خاص لها فإن النفقة تلزمه،ترتب عنه مشاكل اجتماعية بالنسبة لحياة الرقيق، ففي الحالة الأولى يجب على العبد التردد على بيت سيدة قصد الحصول على القوت و في الحالة الثانية يجب عليه البحث عن مصادر الرزق لإعانة أسرته.

هذا أيضا يجبرنا إلى الحديث عن غداء العبيد سواء من حيث المصدر أو النوع فالنسبة لمصدر غذاء العبيد يرد الحديث عن غذاء الرقيق ضمن مسؤولية نفقته بما في ذلك زوجته و أبناءه، إذا كانت القاعدة العامة أن ينفق السيد على رقيقة فيطعمهم مما يأكل .

.

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص374.

أما عن نوع هذا الغذاء فسواء تعلق غذاء الرقيق بالذرة و التمر أو شعير فإن لذلك ارتباط بالإنتاج الفلاحي من الجهة التي وجد فيها، وهو ما نصت عليه إشارة ابن حزم إلى أن طعام الرقيق يجب أن يكون « مما يأكل أهل بلده »[1]

و يبدوا أن موضوع غذاء الرقيق كان يؤرق السيد من جهة لا يريد أن يكلفه كثيرا ومن جهة أخرى عليه ألا يفرط في الوضع الصحي لرقيقة لماني ذلك من أثر في عمله وفي عملية بيعه و في تحديد سعره .

والخلاصة أن تنوع وضعية الرقيق بين رقيق في خدمة السيد و رقيق تروج بإماء أو حرائر ورقيق مكاتب أدي إلى توزع مسؤولية النفقة و ترددها بين السيد تارة و الرقيق تارة أخرى وهو ما انعكس سلبًا على غذاء الرقيق الذي لم يكن كافيا وتحكمت فيه بالتالي القيمة التجارية أكثر مما تحكمت فيه الرغبة في تلبية حاجته الغذائية الطبيعية.

2-وصف ملبس ومسكن العبيد السود

مثلما كان موضوع السكن والغذاء موضوعا مهما يصور لنا الوضعية الاجتماعية للعبيد السود في بلاد المغرب يأتي جانب أخر بالغ الأهمية إلا وهو لباس هؤلاء العبيد فهم كان لباسهم مميز أو مثلهم مثل باقي أفراد المجتمع ومن كان المسؤول على لباس هؤلاء العبيد؟.

تحدث ابن حزم عن موضوع نفقة السيد على رقيقة وقد ارتبط موضوع غذاء العبد بكسوته و قد ذهب إلى أن الكسوة يجب أن تكون « مما يطرد عند الحر والبرد ولا يكون به مثله بين الناس، لكن مما يلبس مثل ذلك المكسو في ذلك البلد مما يجوز فيه الصلاة ويستر العورة وأن يكسوه مما يلبس و لو في العيد ».
فالقواعد التي وضعها ابن حزم من خلال هذه المقولة كالأتي :

- أن تقيه الحر والبرد أي تتنوع حسب فصول السنة
- أن تكون مميزة عن باقي أفراد المجتمع
- أن يجوز بها الصلاة وتكون ساترة للعورة
- أن يهتم السيد بلباس عبيده في العيد فيكون مختلف على الأيام العادية[2].

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص266.

[2] ابن حزم الأندلسي : المحلي بالأثار ،دار الكتب العلمية، ج 9، ص 250

فما مدى تطبيق هذه القواعد على عبيد المغرب و خاصة العبيد السود الذين هم موضوع بحثنا ؟

بالنسبة لموضوع أن تكون كسوة العيد مميزة عن باقي أفراد المجتمع فواقع حال الإماء في بلاد المغرب يكشف عن تمييز الإماء عن الأحرار في اللباس وهو ما يفهم في مناقشة ثلاثة فقهاء إباضية في القرن 5 هـ /11 م لموضوع أمة صلت ورأسها مكشوف بخلاف الحرة[1].

وهناك أيضا من شخّص مظاهر الفساد التي عمت المجتمع المغربي من جراء خروج الإماء منكشفات، القضاء مآرب الأسرة من سقاية وطبخ الخبز فقد سنح لهم ذلك الاجتماع بالفسقة من العبيد و بعض الأحرار على ما ظهرت آثاره في كثير من الدور بولادة الخدم فيهن أبناء الزنى .

وهكذا أوجب الفقه في حال عدم توفر الرقيق عند ثياب الكسوة و ستره على الحاكم أن يأخذ مولاه أن يكسوه وأن لم يطلب العبد و بالنسبة للأمة المتزوجة فإن على السيد كسوتها في النهار وأن كانت تخدمه نهارًا بينما يتكفل الزوج العبد بكسوتها إن كانت تبيت عنده أما اذا كان السيد يدعى أمته لزوجها ليلًا و نهارًا فعلى الزوج كسوتها بالليل و النهار أو تم تحديد كسوة أمة بقميص يتولى السيد اقتناءه و حين يتولى الزوج يكون قميص و إزار و جلباب أما كسوة العبد حدد في ثوب و أما بالنسبة للمدة حددت بثوب كل سنة[2].

تحدث التادلي عن خط جارية في اقتناء كساء ثاني في نفس السنة لم يكن لمثيلاتها فذلك لم يكن معتاد[3]، في إشارة التادلي عن جارية اشتراها من درعه « سافرت إلى درعة و بحثت عن الصفة التي طلب لي فلم أجدها فلما عزمت على القفول وجدت مملوكه على الاختيار فسألت عن ملاكها فإذا هم من أصحابي فاشتريتها منهم . وبقيت لي من العشرين بقية فاشتريت لها بها كساء و حملتها معي فنزلنا ليلة ببعض المنازل فأصابنا مطر فقال لي غلامي يا مولاي هذه المملوكة التي اشتريتها للرجل الصالح فقلت نعم فغطاها بكسائه من البرد»[4].

وخلاصة أن كسوة الرقيق في بلاد المغرب من المواضيع التي أغفلتها الكتابة التاريخية بمختلف أصنافها فما وجد من معلومات تتحدث عن مميزات الإماء عن الحرائر في اللباس، وعلى من تقع مسؤولية كسوة الرقيق

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق . ص 270 - 272

[2] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق . ص 270 - 272

[3] ابن الزيات التادلي : التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق احمد التوفيق الطبعة الثانية 1997ص 224

[4] ابن الزيات التادلي : نفسه ص 224

وهي قضايا لم نستطيع من خلالها أن تتبين حقيقة لباس العبيد و خاصة السود منهم و ما نستطيع قوله أنه لم يتجاوز الحد الأدنى لستر العورة و أطراف الجسد إلا في حالات نادرة.

3- الرق والخدم و الأعمال المنوطة بهم:

يمكن التميز في خدمات الرقيق بين خدمات منزلية كالطبخ والعجين وتربية الأبناء وأخرى خارج البيت، تدخل ضمن قضاء حاجات الأسرة و مآربها وهي أعمال تقاسمها ذكور الرقيق وإناثه على حد سواء.

تحدث ابراهيم القادري بوتشيش عن أسباب كثيرة لتواجد العبيد السود في بلاد المغرب أنه يتجلى في الخدمات المنزلية التي كانوا يجيدونها [1]، حتى أن جغرافيا المعاصر لتلك الحقبة لاحظ أن سائر السودان ينتفع بهم في الخدمة و العمل[2] وبالمثل فإن الأمثال الشعبية أشارت إلى كثرة أعدادهم داخل البيوت حتى أنهم أصبحوا عبئًا ثقيلا أحيانا فتقول احد الأمثال: «اسود على أسود هم أن لا يرقد » لذلك يمكن القول أن العبيد لم يلعبوا دور يذكر على صعيد الإنتاج بل انحصرت مهمتهم في الخدمة المنزلية كالطبخ[3].

ويذكر البكري « وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة بمائة مثقال و أكثر تحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوز ينقات والقطائف وأصناف الحلويات وغير ذلك »[4]

وقد تحدث بن مليح عن أمور الخدمة المنزلية وحدد بالأعمال التالية :« خدمة البيت من العجين والطبخ والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء وغسل الثياب و الغزل و النسج و غير ذلك من الاعمال المنزلية »[5] كما نصت بعض الروايات على الشروط التي يجب توفرها في رقيق المنازل « ينبغي أن يكون حسن الوجه جميل الأخلاق لطيف الشكل ذكي فطنا عاقلا و هذه المنزلة الحواس لأن الإنسان بهم يعرف أحوال منزله، ترد الإشارة الى حاجة الأسرة خاصة الزوجة الى الخادم للقيام بشؤون البيت و إرضاع الأطفال حيث احتلت الأمة المرضعة مكانة هامة في المجتمع الحضري خاصة لدى الفتات الميسورة، ذلك أن عدم إمكانية تقديم، ذلك أن عدم إمكانية تقديم لبن الحيوان إلى الأطفال الرضع وصغار السن، يدفع الى الاستعانة بالمرضعة و هو ما كان له أثر له

[1] إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر ،الطبعة الأولى 1995ص 234.
[2] أبي حامد الغرناطي: تحفة الألباب و نخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1993، ص43.
[3] إبراهيم القادري: نفسه، ص234.
[4] البكري: المصدر السابق، ج2، ص345.
[5] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق،ص 276.

في تسريع وترية الإنجاب[1] فقد تزوج أحدهم « فطلبت منه زوجته مملوكة و لم تكن عنده »[2] ويفهم من الرواية ذاتها حاجة هذه الزوجة الى أمة لتقوم بشؤون طبخ الطعام والعجن وسقاية الماء[3].

وقد أشار التادلي كما أسلفنا الذكر في العنصر السابق الى حاجة رجل من الصوفية يدعى أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغدوغي﴿ توفي سنة 571هـ /1175 م ﴾ الى عجوز من الخدم تطحن له ما يأكله الصالحون[4] و قد بذل لأحد النخاسين من أجل شراء هذه الخادمة بمبلغ عشرين دينارًا[5].

وأثناء البحث وجدنا الكثير من الإشارات التي تتحدث على تولى الإماء مهمة الطبخ ومن هذه الإشارة ما يهم موضوع بحثنا و نقصد السود منهم، فهذا الصوفي أبو يعزي يلنور كانت له جارية تتولى إعداد الطعام [6]، كذلك اشتهرت مدينة أودْغست بالسودانيات بكونهن « طباخات ماهرات يحسن عمل الأطعمة ولاسيما أصناف الحلاوات ، فلا يوجد أحذق بصنعها منهن »[7] هذا ما ذكره البكري، أما في مدينة تونس فتذكر أحد المصادر « بها شيخ كبير السن كانت لمحاربة دايانة سمراء مليحة خفيفة الروح مطبوعة تسمى سعيدة تتولى أخذ البيض من البقال »[8].

وإلى جانب تجهيز الطعام، تولى الرقيق سقاية الماء فقد أرسل أحدهم بعض مواليه أو خدمة فآتاه بالماء ولم يرتبط الأمر بالمدينة وحدها و إنما شاع في البادية المغربية أيضا فقد كان خدم جبل نفوسة يخرجن للإستسقاء[9]

وفي رواية للشماخي تفيد باشتغال إماء نفوسة بالنسيج في البيوت ورواية تفيد أيضا أن هؤلاء يقمن بهذا العمل بطريقة جماعية، فقد دخلت إحدى نساء نفوسة « الدار فوجدت الجواري ينسجن فقالت إنكن معتقات، فقمن من الفرح فلم ترد واحدة خيطًا و هن ثلاث عشر جارية »[1]

---

[1] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب مطبعة الإستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1949 ص495.

[2] عبد الإله بن مليح: نفسه

[3] التادلي: المصدر السابق، ص224.

[4] المصدر نفسه ونفس الصفحة.

[5] المصدر نفسه ونفس الصفحة.

[6] عبد الإله بن مليح: المرجع نفسه، ص 377.

[7] أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك تحقيق أدريان فان ليوفن و أندري فيري ، الدار العربية للكتاب 1992، ص 849.

[8] شهاب الدين أحمد التيفاشي: نزهة الألباب فيها لا يوجد في كتاب ،. تحقيق جمال الدين جمعة، ط1، رياض الريس، لندن، 1992،ص 110.

[9] عبد الإله بن مليح: نفسه، ص 377.

كما تولى الرقيق مهمة خدمة الدواب والقيام بشؤونها من علف ورعاية إلى جانب جمع الحطب، قصد التدفئة والطبخ وتنظيف البيت.

وتولى الإماء في المجتمع المغربي مهام أخرى تدخل ضمن رعاية الأسرة خلال تعرض أحد أفرادها للمرض فهذا أمير بنسبة بحي بن علي بن غانية يرسل إلي محدث مقرب منه هو مُحَمَّد بن الحسن بن خلف الأموي الدائي المعروف بابن برنجال في مدينة دانية « بخادم تمرضك و تمومك»[2]

كما تولى العبيد مهمة فتح باب المنزل و إستقبال الزوار والمناداة على صاحب المنزل فضلا عن قضاء حاجات السائلين عنه في حالة غيابه .

أما عن عمل العبيد خارج البيت فقد تعدد الخدمات التي كان يقوم بها عبيد المنازل خارج البيت بتعدد حاجات الأسرة و تنوعها و يوجد العديد من الأمثلة عن قيام العبيد السود بأعمال خارج المنزل فيذكر ابن عذارى « عن امرأة سوداء من قرطبة عائدة من الفرن وهي نفس المهمة التي كانت تقوم بها أمة إفريقية وهي جلب الخبز من الفرن[3] وفي رواية أخرى أن رجلا صوفي يأمر خادمه بالذهاب الى السوق يشترى له سمكًا و أخبره بذلك »[4].

ومن بين الحاجات العديدة التي كان الرقيق يخرج لقضائها لصالح سيده سقاية الماء يتحدث بن أبي زرع عن قيام الخدم بجلب الماء من الساقية القريبة من باب الحفاة إحدى أبواب جامع القرويين بفأس[5].

وفي رواية تهم احد الصوفية نقلها التادلي:« نظرت إلى حانوته فرأيت عبد فلان واقفا عليه مع الناس فكرهت مصارفته خوفا من أن يكون عامل عبد ذلك الإنسان وكان سيد ذلك العبد ممن لا يرضى مكسبه قال ناقل الحكاية، وما كان اشترى هذا العبد من أبي بكر شيئا وإنما كان واقفا مع حملة المشترين » و يستخلص من هذه الرواية وقوف العبد في الحانوت لاقتناء حاجات سيده[6]، وفي رواية أخرى « دخل على ابن حرزهم رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه فأخبره أبا الحسن بما أمره به السلطان في شأن أبي الحكم فقال له أبو الحسن أن

[1] أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي:كتاب السير تحقيق أحمد سعود السيابي الجزء الأول ،الطبعة الثانية 1992 ، ص 176.

[2] إبن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، دار الكتاب العربي القاهره ،1967: ص133.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق، ص 103.

[4] عبد الإله بن مليح: نفسه، ص381.

[5] ابن أبي الزرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنشور للطباعة والنشر ، الرباط 1973، ص 71.

[6] التادلي: المصدر نفسه، ص 170.

كنت تبيع نفسك من الله فأفعل ما أقول لك فقال له: مرني بما شئت أفعله فقال له: تنادي في أسوق مراكش و طرقها يقول لكم ابن حرزهم أحضر وجنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان »[1].

ويبدوا أن مهمة العبد الأسود كانت خطيرة تجاوزت الخدمات المنزلية التي ألف الرقيق القيام بها و التي تزخر بها الإشارات المتعلقة بالخدم فهذا، فهذا خادم يذهب إلى البستان إلى جانب عمله هناك يقوم بحمل الإخبار الى سيده[2].

ويعبر خروج الرقيق خارج البيت عن حركته وانخراطه في الحياة الاجتماعية، وهناك مقصد أخر كان لخروج العبيد خارج المنزل غير خدمة سيده وهو أداء الصلاة أي الذهاب إلي المسجد وسجل ابن بطوطة عادة لأهل السودان تفيد بمصاحبة العبد سيده إلي المسجد فقد كان السيد يبعث علامة بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلي المسجد »[3].

وخلاصة القول باقتصار عمل الرقيق المغربي وخاصة العبيد السود الذين هم موضوع دراستنا خلال فترة البحث علي الخدمة المنزلية لا يجب إن يفهم منه فتح في الخدمات التي كان يؤديها لصالح المجتمع، فسواء كانت خدمات خارج البيت مثل سقاية الماء وحمل العجين إلي الفرن أو مرافقة السيد في تنقلاته، فان حضور الرقيق كان فعليا وفاعلا تعبر عنه طبيعة هذه الخدمات كما يعبر عنه إصرار الزوجة على وجود أمة وإماء إلي جانبها في البيت لتدبير شؤونه.

[1] المصدر نفسه ونفس الصفحة

[2] عبد الإله بن مليح: نفسه، ص 384.

[3] ابن بطوطة : المصدر السابق، ص672.

الفصل الثاني : مكانة العبيد في السود في المجتمع بلاد المغرب

1- مكانة العبيد السود الاقتصادي

2- مكانة العبيد السود السياسي

3- مكانة العبيد السود العسكرية

4- مكانة العبيد السود في مجال التعليم والتربية

الفصل الثاني: مكانة العبيد السود في مجتمع بلاد المغرب

1- مكانة العبيد الاقتصادية:

1-1-دور العبيد في مجال الزراعة وتربية الماشية: لا تسمح شح المعلومات عن عمل الرقيق في الأرض بالكشف عن دورهم في المجالات الاقتصادية وبصفة ذلك أنها تتوفر على إشارات تفيد بوجود عبيد اشتغلوا في ضيعات أسيادهم ، وذلك من وقت مبكر من الوجود العربي الإسلامي ببلاد المغرب فقد كانت الأسر الكبيرة تستغل أراضيها بسواعد أبنائها وبسواعد الخماسين التابعيين و المندمجين في تلك الأسر، كما كانوا أحيانا عبيدًا لها[1] ، فحسب رأي بن مليح أن هؤلاء العبيد كانوا مصدر ثقة لدى ملاك الأرض[2]، وكمثال على عمل العبيد السود في مجال الزراعة استعمال يد عاملة منهم في مزارع السكر مثلما ذكر البكري الذي أشار إلى مدينة إيجلي بالمغرب الأقصى على سبيل المثال مدينة كبيرة سهلية ويوجد غربيها نهر كبير كما كان قصب السكر كثيرا وكان قنطار السكر يبتاع بمثقالين[3] وأقل ولاشك أن عمل العبيد في مزارع السكر بقي غامضا على الرغم في الإشارات القليلة في هذا الغرض ويبدو أن العمال الموسمين كانوا من اليد العاملة المستعملة في ذلك الصنف من الزراعات مع وجود عدد من العبيد[4].

كما يوجد إشارة أخرى تبين بدون ريب العمل الذي يقوم به العبيد السود في الواحات، ففي قسطيلية كانت أهم مركز تجمع العبيد بإفريقية لأنها تمثل ممرا رئيسا للقوافل التجارية في رحلة ذهابها و إيابها إلى بلاد السودان [5] .

ولعل الوصف الذي تركه البكري لقسطيلية على الرغم أنه يعود إلى فترة القرن الخامس إلا أن ذلك الازدهار ليس نتيجة تطور فجائي، أنما هو وليد ضرورة زمنية ارتبطت في جزء كبير منها بعلاقة المنطقة الصحراوية وأهمية الدور الذي لعبه التجار الإباضين بواحات الجريد حيث نجد لدى الفقهاء موقفا متسامحا في استخدام واستغلال قوة عمل العبيد ليلا ونهارا إن أمكن ذلك وهو ما يحيلنا على الواقع الفعلي الذي كان سائدا أكثر مما أشارت إليه

[1] هاشم العلوي القاسمي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4 هـ ،ج1، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية 1995،ص305.

[2] بن مليح: المرجع السابق، ص87.

[3] البكري : المصدر السابق ج2 ص 708، 709

[4] دورية كان التاريخية :العدد 56 ماي 2022 ،الدكتور حامد العجيلي : الدور الإقتصادي للعبيد في افريقية خلال القرن الأول والقرن الرابع الهجري ص 56

[5] بن عذاري المراكشي: المصدر نفسه، ج1، ص101.

الروايات التي تثني على المعاملة الحسنة من قبل السيد لعبيدي[1] ،كما يوجد هناك إشارة صريحة إلى اشتغال العبيد السود في العمل الزراعي ليلا فهذا ابن الزيات التادلي يترجم لأحد رحالات الصوفية يدعى [و جبل يعلن من أهل فأس توفي503هـ/1109م "**الذي كان جزارا لأسود إلى السمرة** "[2] عاد من مصر وعندما قرب من فآس **ألم** به جوع شديد وصادف حاصدين يتناولون الطعام فحدثته نفسه أن يشاركهم فيه قال في نفسه: أنا أسمر وهؤلاء الحاصدون من جنسي، فلعلهم يدعوني للمؤاكلة معهم غير أن أمله خاب فقد نهره هؤلاء فهل استنكف ابن الزيات من تسمية هؤلاء الحاصدين بالعبيد، فوصفهم بالسمر، خاصة وأن المترجم له كما سبقت الإشارة، أسود يميل إلى السمرة[3] فقد تقيد هذه الإشارة إلى اللجوء إلى هؤلاء العبيد السود لقوتهم العضلية عند ظهور الحاجة إليهم في مرحلة حدث الأرض أو حصادها على وجه الخصوص.

كما كان هناك اهتمام بتربية الماشية التي أشرف عليها عدد كبير من العبيد، فقد ذكر الشماخي أن يجيب إبن زلغين وهو من الطبقة الثانية كان له ثلاثون ألف ناقة وثلاثمائة ألف شاة وأثنتا عشر ألف حمار ويبدو من سياق الخبر الذي يقدمه الشماخي أن هذا الشخص كان قد خصص حيا بأكمله لسكنى عبيده[4].

ويبين هذا النص بجلاء وجود عدد هام من العبيد الرعاة لقطعان الماشية وخاصة الإبل التي كانت تمثل أهم وسيلة نقل آنذاك وخاصة في المناطق التي كانت ممرا للقوافل[5] التجارية مثل قسطيلية و سجلماسة و ورجلان وغدامس والفران وجادو وحد الجنوب المغرب الأقصى وغيرها من المدن التي كان تجارها يترد دون على بلاد السودان[6].

ولدينا إشارة في المصادر تعود إلى القرن الرابع حيث تعرضت بعض العائلات إلى مصادرة أملاكها من قبل جيش أبي يزيد مثلما ذكر القاضي النعمان على لسان أحد المتضررين « وأنا في منزلي وداري ومعي أهلي وولدي وعندي العبيد كذا ومن البقر كذا والغنم و الدخائر كذا» وعلى الرغم من عدم ذكر أعداد العبيد الذين كانوا تحت

[1] البكري:المصدر السابق، ج2، ص708،ص709.

[2] التادلي: المصدر السابق، ص103

[3] بن زيات التادلي: المصدر نفسه،ص

[4] دورية كان التاريخية، العدد56، ماي 2022، الدكتور حامد العجلي، الدور الاقتصادي في إفريقية خلال القرن 1هـ و4هـ، ص59.

[5] الشماخي المصدر السابق ص 121،ص 122.

[6] حامد العجيلي: المرجع نفسه،ص

تصرفه إلا أنه يمكن القول أنه كان يمتلك عددا هاما يقوم بمختلف الأنشطة الفلاحية من حارثة وغراسه وجني ورعي بالأغنام والبقر التي كان يمتلكها[1].

1-2- دور العبيد في المجال الصناعي:

في مجال أعمال البناء: قامت العديد من المدن و الحواضر تأسست وتم تعميرها، ولأجل ذلك تطلب الأيدي العاملة التي وفرتها تلك الأعداد الهائلة من الرقيق سواء عن طريق السبي أو التجارة لاسيما وأن بعض هذه الحواضر مثل تيهرت وفأس والقيروان وغيرها قد ارتبطت بنشاط تجاري واسع خاصة مع بلاد السودان التي اشتهرت عبيدها بأنهم يصلحون للأعمال الشاقة،[2] فتشير إحدى الراويات إلى دور الرقيق في عملية بناء مدينة تيهرت، حيث جاء وفد من البصرة لتقديم المعونة المالية لعبد الرحمان بن رستم وحين دخلوا المدينة " **ألقوا الإمام فوق دار يطينها و العبيد يناولونه الطين**"[3] ولما قدر للوفد ذاته العود إلى المدينة بعد فترة وجيزة أخذتهم الدهشة لهذا الرخاء العمراني الذي تمتعت به تيهرت والذي كان للرقيق الدور الأكبر فيه.

وفي مدينة فاس عمد إدريس الثاني إلى توظيف الرقيق والاستفادة منهم في بناء المدينة وتعميرها إذ أنه جمع حشمه فأمرهم ببناء الديار قبة لاحقه لم يدخروا وسعا في الاستفادة من خدمات الرقيق المعمارية في مجموع الولايات الإفريقية فقد تولى الرقيق بناء العديد من القلاع والحصون لصد غارات الروم مدن البحر، حيث اعتماد أهل القيروان أن يخرجوا عبيدهم عند اشتداد الغارات " فابتنوا القصور والمساجد والسور وحسب إشارة أخرى شاركه في البناء بعض خدمه من الصناع و البنائيين[4].

وحقبة لاحقه لم يدخروا وسعا في الاستفادة من خدمات الرقيق المعمارية في مجموع الولايات الإفريقية فقد تولى الرقيق بناء العديد من القلاع والحصون لصد غارات الروم مدن البحر، حيث اعتماد أهل القيروان أن يخرجوا عبيدهم عند اشتداد الغارات " فابتنوا القصور على السواحل كقصور سوسه و غيرها وجعل بها من عبيد أهل القيروان للرباط فكثروا هنالك واستقبلوا بمدينة سوسه وأهل سوسه في الأصل عبيد لأهل القيروان

[1] القاضي النعمان: كتاب المجالس والمسايرات تحقيق الجيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997،ص 360,361.

[2] ابن الصغير :أخبار الأئمة الرستميين تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ،1986 ،ص88.

[3] ابن ابي الزرع : المرجع السابق ص30.

[4] ابن ابي الزرع :نفسه ص45.

1-3- العبيد و النشاط الحرفي:

يمكن التعرف على طبيعة بعض الأعمال الحرفية التي أشتغل بها العبيد ففيما يخص عملية التعدين انخراط العبيد في عمليات استخراج الخامات المعدنية لما تتطلبه من جهد مضني، وهو ما جدا به الداريس إلى اعتبار العبيد القوة المحركة في العمل الجماعي في المزارع الكبرى وفي المناجم، كما تشير بعض المصادر الأخرى إلى عمل العبيد بمناجم الملح في الصحراء خاصة العبيد السودان منها مناجم تغازي التي تقع جنوب سجلماسة والتي لا يسكنها إلا عبيد مسوفه الذين يحفرون على الملح ويتعايشون بما يجلب إليهم من السودان[1]وتقدم لنا رواية القزويني معلومات غنية عن طبيعة هذا العمل "تشغلهم جمع الملح طول السنة يأتيهم القفل في كل مرة يبيعون الملح ويأخذون ثمنه قدر نفقاتهم والباقي يؤدونه إلى سادتهم من مسوفه"[2]، وبالارتباط مع العمل في المناجم ترد الإشارة أيضا إلى عمل الرقيق في المناجم المعدنية الأخرى مثل توليد سبك النحاس في مدينة تكدا[3]،واستخراج المعدن في بلاد المغرب دون أدنى إشارة إلى نوع المعدن ومكان المنجم وهو مجال عمل فيه الرقيق في أزمنة مختلفة وفي جهات متعددة ومثال ذلك وادي العلا قي جنوب مدينة أسوان المصرية حيث عمل عبيد السودان في استخراج التبر خلال القرن 7هـ /13م و بالإضافة إلى أعمال البناء والتعدين كأعمال مرهقة تم توظيف الرقيق فيها أشتغل هؤلاء في مهن أخرى كالتجارة والنسيج خاصة الإماء في بلاد المغرب في فترات مختلفة[4].

وقد استغل الإماء أيضا في المطبخ ففي رواية للبكري يذكر "وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة بمائة مثقال وأكثر تحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوزيقات و القطائف وأصناف الحلويات وغير ذلك".[5]

1-4- العبيد والنشاط التجارة:

في بلاد المغرب والأندلس أشتغل الرقيق بالتجارة سواء منه الأسود أو الأبيض الإناث والذكور، وقد طرحت مسألة تجارة العبيد أي هل يجوز للعبيد أن يتجر أم لا ، غير أن أبن رشد القرطبي في كتابه المقدمات و الممهدات قد فصل في المسألة فقد كان رأيه أن العبيد محجوز عليه في ماله لا يجوز له فعل بغير إذن سيدة ولا يجوز له أن

[1] خالد حسين محمود: الرقيق و النشاط الحرفي ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام، ص71.
[2] القريوني:آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ،بيروت ،ص25، 26.
[3] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص354.
[4] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص345.
[5] البكري:المسالك و الممالك،ج 2،ص345.

يتجر إلا أن يأذن له سيده في التجارة فإن أذن له فيها جاز له أن يتجر بالدين والنقد وأن لم يأذن له في التجارة بالدين ولزمه ما داين له في جمع أنواع التاجرات[1].

هذا بالنسبة للرأي الشرعي في مسألة تجارة العبيد، أما بالنسبة لواقع دور العبيد في التجارة في المغرب الإسلامي فقد أرتبط في الغالب بتجارة السودان عبر الصحراء، فقد ورد لدى الإدريسي [2] أن تجار أغمات كانوا يتوغلون في بلاد السودانية ويعهدون بتجارتهم أحيانا إلى عبيدهم الذين حظوا بثقتهم وهو ما نجد صدى لها في عصر لاحق، وفي إشارة إبن خلدون إلى ترفع صنف من التجار عن المتاجرة "**فيدفعه إلى من يقوم له به من لائه و حشمه**" [3].

وقد عرف العبيد المشتغل بالتجارة في كتب الوثائقات بالعبيد التاجر كما عرف العبيد في المجال الحرفي بـ" العبيد الصانع بقي لنا أن نتساءل في نهاية هذا المبحث، بعد أن قمنا بتحديد أهم المجالات الاقتصادية التي سجلت حضور الرقيق وأن بدرجات متفاوتة، سواء في العمل الزراعي وما يرتبط به من فلاحة ورعي وتربية الماشية وإحتطات وسقي أو في العمل الحرفي في أعمال شاقة كالمناجم والبناء وأخرى وضيعة، أو في المجال التجاري، عن الإطار الاقتصادي الذي عمل فيه عبيد المغرب.

2-مكانة العبيد السياسية:

إن التواجد الكبير لأعداد الرقيق في بلاد المغرب أدى إلى مشاركة هؤلاء في كل مجالات الحياة فإلى جانب استعمال العبيد في الزراعة والحرف وفي المجال العسكري فقد كان لهم دورا بارزا في الحياة السياسية في المغرب.

1.2- وظائف العبيد السود في نظام الحكم و الإدارة:

كان العبيد حرسا لبعض الحكام رغم أن المجموعات الكبيرة منهم كانت تستخدم في الأعمال المنزلية وكان امتلاك الرقيق حسب ما ذكر الباحث أحمد جمال طه يمثل مظهرا من مظاهر الثراء في ذلك الوقت[4].

---

[1] ابن رشد القرطبي: المقدمات و الممهدات،تحقيق الأستاذ سعيد أحمد أعراب ،ج 2،الطبعة الأولى 1988ص 341,342

[2] الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج الأول مكتبة الثقافة الدينية ، 1989ص232

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص425.

[4] أحمد جمال طه: المرجع السابق، : مدينة فاس في العصري المرابطي والموحدي 448ه/105م إلى 668ه/1269م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر2001 ص238.

ففي المغرب الموحّدي عرف رقيق البلاط على نطاق واسع تعكسه كثرة معلوماتنا عن عبيد السلطة وجواريها فعلى سبيل المثال تتحدث إحدى الروايات عن العناية التي كان يتلقاها خدم القصر الموحّدي ، فقد كانت أم عمر وبنت أبي مروان بن زهر أخت أبي بكر بن زهر التي نبغت في العلاج تتردد إلى قصور أمراء بني عبد المؤمن تلج قصورهم وتنظر في علاج مرض نسائهم وأطفالهم وإمائهم، وكان للمهدي بن تومرت رغم بساطة حياتهم رجل يختص بخدمته والإذن عليه[1].

ونجد أن البيذق لما تحدث عن ولاية أولاد الخليفة عبد المؤمن بن علي " وفي ذلك العام خلق يعقوب بقصر عبد الكريم وأمه أهداها إليه أبن وزيره" وهذا دليل على وصول أبناء الإماء إلى الحكم[2] ، ويذكر بن مليح أيضا أن الأمير عثمان بن عبد المؤمن الموحّدي كان أسود اللون وهذا دليل آخر على توغل الرقيق الأسود في البلاط الموحدي[3].

كما يكشف عن ذلك أيضا الوباء الذي نزل بمراكش سنة 571هـ /1175م الذي هدد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كما هدّد عبيد القيصر الموحدي وإماءه" وأما ما كان في دورهم وقصورهم من الخدم و العبيد وغيرهم كان يموت في كل يوم ثلاثين شخصا حتى في أكثر من كان في قصورهم ودورهم" [4] و هذا أيضا دليل آخر على كثرة العبيد الذين كانوا غالبيتهم قادمين من بلاد السودان في قصور الأمراء.

كما أن الخليفة عمر المرتضي لم تمنعه ظروف الدولة وتقدم الزحف المريني بل وهزيمته أمامه سنة635هـ/1255م من مراسلة الأمير المريني بشأن جارية له وقد ذكر ابن عذارى هذه الحادثة قائلا " وكنت أيضا من حضرته حين وصوله إليها وقدومه عليها إلى الأمير المعظم ابن يحي ابن عبد الحق راغبا إليه أن يجبر عليه خادما كانت قد أخذت له حين هزيمته واستلاء بني مرين على محله فأمر الأمير بالبحث عليها في دواوير العرب وزناته"[5]، وتقدم الصورة التي وصلت بها الجارية إلى مراكش عن المكانة الرفيعة التي حظيت بها، إلى جانب آخر فقد أستعمل عبيد البلاط كأداة في يد رجال الدولة يوظّفونها في سبيل تصفية معارضيهم ومنافسيهم على السلطة، ورغم كون الاغتيالات من المواضيع الغامضة في التاريخ السياسي، فإنّ الأحداث التي تعقبها تكشف عن استخدام الرقيق بشكل

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص494.

[2] إبي بكر بن علي الصنهاجي المكي بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، دار المنصور للطباعة، 1975،ص76.

[3] عبد الإله بن مليح:المرجع السابق،495.

[4] إبن عذاري: المصدر السابق قسم الموحدي، ص136,137.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ص409.

جلي فيها إذ غالبا ما انتهت حياة الذين كلّفوا بها – من الرقيق- إلى القتل سعيا إلى طمس حقيقة مديرها ودفنها معه.

وإذا كان الاغتيال السياسي قديم في بلاد المغرب فبل القرن 5هـ/11م فإن في استحضار قيام الرقيق بتنفيذه ما يكشف عن استمرارية الظاهرة في فترة من البحث[1].

ففي المغرب المرابطي نفتقد إلى عمليات اغتيال نفذها الرقيق بأمر من السلطة عدا إشارة مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور محقق كتاب قلائد العقيان إلى أن عبدا أسودا قام بذبح إبن خاقان الشاعر الأندلسي بمدينة مراكش سنة 529هـ/1135م بإيعاز من الأمير المرابطي علي بن يوسف [2].

أما عن الجانب الإداري فقد أولى رجال الدولة في المغرب عناية خاصة لرقيقهم، فأقدموا على عتقهم قبل تقليدهم مناصب قيادية ووظائف رفيعة ، ومن خلال أحد الكتب السياسية التي تعود إلى القرن 5 هـ/11 م أن صاحبه لم يضع شرط الحرية أمام تقلّد العبيد مناصب هامة في الدولة مما يفيد بإطلاق يد الأمراء والخلفاء في اختيار من يناسبهم في تسيير شؤون الدولة[3].

ويكفي أن نشير إلى نموذج واحد يبين الثقة الكبيرة التي كان الرقيق يحظى بها لدى رجل الدولة، يتمثل ذلك في عدم إخبار عبد المؤمن بن علي خلال حملته إلى المغرب الأوسط باتجاه وجهته، غير أن أحد عبيده لم يضبط نفسه فباح بالسر أمام عبيد آخرين، فكان جزاؤه القتل كما أن نموذجا آخر يعبّر عن كون ثقة رجال الدولة في عبيدهم أتاحت لهم معرفة خبايا شؤون الدولة، وهو ما أستغله الخليفة الموحّدي السعيد في حربه ضد بني مرين، من خلال عبد لهم وقع أسيرا[4] والنماذج كثيرة في هذا السياق.

أما عن المناصب الإدارية التي تولّاها العبيد السود في المغرب خلال فترة الدراسة منصب الحجابه وهو منصب خطير لا يمكن أن يسند إلا لأهل الثقة، باعتبار أن مهمة صاحبه تكمن في الإشراف على شؤون البلاط وتنفيذ القرارات الصادرة عن رجل الدولة الأول وغير ذلك من المهام [5].

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص498.
[2] نفسه،501.
[3] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص502.
[4] البيدق: المصدر السابق، ص74.
[5] ابن عذارى، قسم الموحدين ..، المصدر السابق، ص371.

وتبرز الدولة الموحّدية نموذجا واضحا لاحتلال الرقيق منصب الحجابة إذ باستثناء اثنين فقط فإن كل حجّاب الخلفاء الموحدين كانوا عبيدا أو موالي، أمّا في ما يخص بحثنا و هم العبيد السود فإن بن مليح ذكر بأن ابن تومرت كان له حاجب أسود البشرة[1].

وإلى جانب الحجابة كمنصب رفيع المستوي برز فيه الموالين في المغرب الموحدي فهناك بروز سياسي وإداري آخر للعبيد فيذكر ابن خلكان عن تكليف أحد العبيد بالسفارة من القضاة والعلماء،[2] وهناك معلومات أخرى تفيد أن مملوك اسمه ناصح شغل منصب "صاحب ديوان سبته" زمن الخليفة الموحدي مُحَّد الناصر[3].

خلاصة القول إن حضور العبيد في الإدارة المغربية كان واضحا، يكشف عنه احتلال مناصب قيادية أبرزها لحجابه بل احتكارها خلال أوج الدولة الموحدية ذات الامتداد المجالي الكبير.

3-مكانة العبيد السود العسكرية:

من البديهي أن يتواجد السودان في دولة اعتمدت على عائدات تجارة الذهب والعبيد وربطت اقتصادها ببلاد السودان[4]، ولم تحظى بمعلومات كثيرة بل كانت معلومات هزيلة و اخبار شحيحة ومبعثرة في المصادر التاريخية على الرغم من كثرة أعدادهم ودورهم المتميز في الخدمات الاجتماعية ورغم أنّ معظم المؤرخين قد أمعنوا في التكتم عن ذكر أوضاعهم و طمس أخبارهم، فلم يشيروا إليهم في ثنايا مؤلفاتهم سوى بإشارات خجولة باستثناء ما ورد عنهم بطريقة عفوية أثناء سرد أخبار الحملات العسكرية [5].

وهناك إشارة وردت في المصادر حول العنصر السوداني جاءت في سياق الحديث عن يوسف بن تاشفين الذي ما إن تولّى الحكم والسلطة قام بشراء جملة من عبيد السودان بلغ عددهم زهاء ألفين[6] عرف هؤلاء السودانيون بقوتهم وجلدهم وصبرهم في تحمل أعباء الحروب والغزوات، وتضاف إليهم أعدادا جديدة بدليل مشاركة حوالي أربعة آلاف منهم في معركة الزلاقة وقد تميز هؤلاء منهم «بتوقوقو» من غانة بمهاراتهم العالية وقوتهم

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص504.
[2] إبن خليكان : المصدر السابق، ص28.
[3] عبد الإله بن مليح:نفسه، ص508.
[4] إبن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص23.
[5] إبراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي:ص232,231
[6] إبن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص118.

الضاربة في الحروب، فكانوا متمرسين في فنون القتال وخاصة منهم العبيد السود[1] قد آثار العديد من الباحثين إلي استعمال العبيد السود في الجيوش أثناء المعارك كما ذكرنا معركة زلاقة التي تمكن فيها تحديد ألفونسو السادس و إصابته بجروح كادت أن يؤدي بحياته كما ساهموا في جملة عسكرية أخرى قادها الأمير المرابطي يحى بن أبي بكر إلي طليطلة في محاولة إسترجاعها[2].

وخلال بداية المواجهات العسكرية المرابطة الموحدية يتحدث بن عذاري عن هجوم موحدي سنة 524هـ/ 1130م قبل وفات المهدي بن تومرت على مدينة أغمات ذات الصيت التجاري الذائع بقيادة عبد المؤمن بن علي فحاصروها وقتلوا في يوم واحد نحو 3آلاف أكثرهم سودان[3].

وقد فرض بن يوسف على الرعية تجهيز عددا من السودانيين بأسلحتهم و مؤنهم لقتال أدفونش بن رذمير ملك أرغون مما ينهض دليلا على تواجدهم داخل جهاز الدولة والجهاز العسكري على الخصوص، ومما يفيد أيضا بحضور قوي للعبيد السوداني في بلاد المغرب العصر المرابطي ولاشك أن هدايا الملوك إلى ملوك المغرب عزّزت حضور العبيد السود في المغرب فقد وصلت إلى المعز بن باديس الزيري سنة 423هـ/1032م من أحد ملوك السودان هدية جليلة فيها رقيق كثير[4].

أمّا في العصر الموحدي فقد تم استعمال السودان منذ عهد يوسف بن عبد المؤمن حيث شكلوا فرقة عسكرية مستقلة ضمن القوات الموحدية واتخذهم الخلفاء الموحدون حرسا خاصا لهم لتصل أعدادهم أيام الناصر إلى ثلاثين شاركوا معه في معركة حصن العقاب 609 هـ/ 1212م ،وترد الإشارة في العصر الموحدي دائما إلى تقريب الدولة للسودان وجعلهم واسطة بينهما وبين رعاياها ومثال ذلك «غلام أسود» كان مع الخليفة عبد المؤمن في حملته في المغرب الأوسط حيث كان رسوله إلى أهل بجاية مما يفصح عن توغل الرق سوداني في الحياة السياسية وإذا كانت الشهادات السابقة تصب كلها في اتجاه استقرار عبيد السودان بالمغرب خلال فترة البحث وعدم كشف معظمها عن هويتهم الجغرافية بدقة فمن الارجح أن الأمر يتعلق بسودان إفريقيا الغربية باعتبار أن وفرته النسبية تعكس القرب الجغرافي وسيولة الاتصال التجاري والبشري[5].

[1] إبن عذاري: المصدر السابق،ص 84.

[2] إبن عذاري: المصدر السابق،ج4، ص23

[3] إبراهيم القادري: المرجع السابق:ص232

[4] جمال أحمد طه: مدينة فاس في العصري المرابطي والموحدي 448هـ/105م إلى 668هـ/1269م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر2001، ص162.

[5] عبد الله بن مليح: المرجع السابق ص204-205.

ومنه فإن الدور العسكري لعبيد السودان قد كان مهمشا وهذا راجع لعدم حضور بدورا كبيرا في المجال العسكري جعلهم بعيدين عن أضواء المؤرخين كما أن عدم قيامهم بانتفاضات أو حركات احتجاج اجتماعي وهذا راجع لبعد معظمهم عن المجال المعرفي والثقافي وهذا يوضح لنا أن الكتابة التاريخية المغربية في العصر الوسيط عموما ارتبطت بمسألة الدولة والحكم يحتلون أدنى درجات السلم و الاجتماعي[1] ويتضح لنا أن العبيد كان استغلالهم كطاقة تجريبية تستجيب لحاجة الدولة في الغزو والجهاد.

ومن هنا يتضح لنا أن دورهم كان مقتصر على صعيد الإنتاج المنزلي فحسب، أما على صعيد الإنتاج المادي فقد اقتصر العبيد على بعض الأعمال الصناعية المحددة أو حراسة القوافل التجارية [2].

4– مكانة العبيد في مجال التعليم والتربية:

إن العبيد السود الوافدين على بلاد المغرب من البيئة السودانيه قد حمل معه أساليب خاصة في العيش واللباس والأكل والتفكير سواء في مجتمعات إسلامية أو غير إسلامية ولاشك أنه مارس تأثيرات كبرى في الأوساط التي حل بها خاصة في البيوت التي عمل فيها، فإلى جانب خدمة العبيد في المطبخ يتولى هؤلاء تربية الأطفال وهذا منفذ أساسي إلى جانب منافذ أخرى لتسرّب ثقافة الرقيق في المجتمع المغربي.

وسنحاول في هذا المبحث التركيز عن جانبين في الموضوع مرحلة تلقي العبيد للعلم والمرحلة الثانية عطاءات العبيد وتجليات حضوره في المجال الثقافي.

حسب رواية شفوية هناك مثل شعبي يقول «مسعودة مشات للمسيد ماصابتش حسن من السعيد» يفيد هذا المثل ذهاب ابن أمة إلى الكتاب على غير العادة المألوفة، فمن خلال دراسة جوانب الموضوع لا يوجد ما يشير إلى إقدام السادة إلى إرسال الرقيق في سن مبكرة إلى الدرس والتعليم إلى جانب أبنائهم، وهذا يعود إلى العديد من الأسباب نذكر منها سببين رئيسيين هما:

– أن تعليمهم يؤدي إلى ارتفاع أسعارهم.

[1] إبراهيم القادري: المرجع السابق، ص234.

[2] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق ،ص 206

– وأن إقدام رجال السلطة على تعليم الرقيق كان يرمي إلى أهداف أخرى وعلى رأسها إسناد مهمة ما إليه في حال نبوغه وإلى جانب هذين السببين هناك اعتبار آخر لا يقل أهمية عن سابقيه وهو النظرة القدحية المسبقة لثقافة الرقيق.

وما يؤكد ذلك ما ذكره التادلي في ترجمة صوفي اسود يدعى أبو جعفر مُحَمَّد بن يوسف الصنهاجي الأسود توفي سنة(608هـ/1211م) حول شخص دعي إلى لقاء هذا الصوفي، فقال له: "أتحملني إلى أسود عامي أعجمي لا علم عنده فلما دخلوا عليه قال أنا أسود عامي أعجمي لا علم عندي " وإنما وجدت بركة الشيخ أبي يعزى قال: فخجلت ممّا قلته غاية الخجل[1].

ورغم ذلك فقد سعى بعض رجالات العلم والثقافة في المغرب إلى تعليم الرقيق وتسجل بعض المصادر نجاح مبادرات عديدة قام بها السادة في سبيل تعليم الرقيق منه ما ذكره الوسياني عن جبل نفوسه إن العلم فشي في الجبل و شاع حتى خدمهم وإماءهم إذا خرجن للاستسقاء لا يرجعن حتى يذكرن بينهن مسائل كتاب ماطوس[2].

وكما أسلفنا الذكر أنّ هناك من كان هدفه من تعليم رقيقه الرغبة في زيادة سعرهم وسعيا إلى الاستفادة المادية منه وهو ما يمكن أن نعتبره استثمار تجاريا وكمثال على ذلك فهذا مُحَمَّد بن الكتافي المتطلب الشهير بتجارة الإماء لا يدخر جهدا في تعليمهن الكتاب و الإعراب وغير ذلك من فنون الآداب[3].

ويبدو أن هناك نماذج أخرى لرقيق حظي بعناية السادة مما حدد مساره الثقافي وسجل حضوره في مجالات فكرية متعددة، وكمثال على ذلك النظام التربوي الموحدي الذي إستنتجناه من رسالة عبد المؤمن الموحدي المعروفة برسالة الفصول حيث يأمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتفهّمها وأشمل في هذا التزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد رغم أنه لا يمكن ان نعتبرها دليل على عنايتها بتثقيف العبيد وعدم التميز بين الأحرار والعبيد، بقدر ما يشدنا إليها طابعها التعميمي الذي يراد به سائر الناس دون تخصيص[4].

[1] التادلي: المصدر السابق، ص404,403.

[2] الوسياني: سير مشايخ المغرب، ،مخطوطة مصوره ص 33.

[3] عبد الإله بن مليح: المرجع نفسه، ص451.

[4] مجموع رسائل موحدية: المطبقة الاقتصادية،1991,1990،ص123

وتعددت نماذج رقيق تلقى تكوينا خاصا أهله للمشاركة بنصيب في الحياة الثقافية في عصره مثل «العلياء البلنسية وكانت مملوكة لرجل معروف بابن صاحب بلس، أدّبها وعلّمها وكانت أديبة شاعرة» [1].

ونختم بنموذجين بالغي الدلالة عن السبيل التي كانت متاحة لتعليم الرقيق.

النموذج الأول لفقيه مغربي يدعى أبو عبد الله عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي (606-686هـ) الذي كان يعلم الرقيق الفروض الدينية كلما أتيحت له فرصة اللقاء به خاصة عند عرضه عليه قصيد شرائه فقد كان« من ديانته أنه كان إذا عرض عليه الرقيق للشراء وحصل بمنزلة وحضر وقت الصلاة يأمر أهل منزله بتعليمه الفاتحة وسورة ويأمره بالصلاة، فإن تم الشراء بينه وبين البائع استمر الرقيق على حاله وإلا فيعود وقد حصل له ما يحصل له الفريضة» [2].

النموذج الثاني لصاحب بلنسية يحي المأمون ابن ذي النون الذي أوكل ابنه الى الأديب أبي بكر بن فصلون ليعلمه و يؤدّبه وأرفقه بغلامه صندل، وتوحي هذه الرفقة بالرغبة في إشراك العبد في التعليم ولكن الحقيقة غير ذلك تماما يروي صندل في ذلك أن مولاه خاطب الأديب الموكل بتعليم ابنه «اذا أنت أدّبت ابني هذا أو أتى بنكير فأضرب فتاه صندل هذا مكانه، قال فكان يفعل كذلك»، وكانت النتيجة عكسية فقد نبغ الفتى وتخلف الأمير[3].

ما نستطيع استنتاجه من كل ما ذكر أنه في حالات ومناسبات قدر فيها للعبيد اللقاء بالعلم والثقافة فنهل منها ما شاء حسب ظروفه، ولكن يبقى معظم من تلقوا نصيبا من العلم من الرقيق في سن مبكرة الذين وردت أخبارهم في كتب التراجم، كانوا مقربين من السلطة وفي الاتجار بهم أو لأداء مهمة ما في البلاط أو مجالس الترفيه.

[1] عبد الإله بن مليح، المرجع نفسه،ص452.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص110.

[3] إبن عبد المالك: الذيل والتكملة،م س، ص144.

الفصل الثالث: ملامح التحولات العامة في مكانة العبيد

1-أسباب التحولات العامة في مكانة العبيد

2-تجارة الرقيق قبل الإسلام

3-العبيد السود في ظل النظام الإسلامي

الفصل الثالث: ملامح التحولات العامة في مكانة العبيد

1-أسباب التحولات العامة في مكانة العبيد:

لم يكن بمقدور الرقيق في المغرب من الوصول إلى السلطة وممارستها ممارسة فعلية لولا توفر ظروف خاصة أو صلتهم إلى سدة الحكم وهي ظروف ارتبطت بغياب سلطة مركزية وما ترتب عنه من اضطرابات وفوضى داخلية التي زادت من حدتها[1].

وقد فسر بعض الباحثين وصول أفراد من الطبقات الدنيا إلى السلطة في المجتمعات الإسلامية خلال هذه الفترة وانحيازها الواضح إلى النظم العسكرية القائمة، وبالتالي غياب قادتها عن الساحة السياسية[2].

وهذا يبين لنا صورة واضحة على هذا التطور في بلاد المغرب والذي كان سببه الأساسي هو التفكك السياسي الواضح على سلطة الحكم والصراعات القوية التي أدت إلى تدمّر بعض السلطات الحاكمة، وتعدد القوى السياسية المتصارعة التي أدت إلى بروز الرقيق كقوة فاعلة وكطرف أساسي في الصراع حول السلطة.

ويبدوا أن المناصب القيادية التي وصل إليها الرقيق كانت من المؤهلات التي حفزتهم على الانقضاض على السلطة، سواء كانت هذه المؤهلات عسكرية أو مدنية، فقد تولى مجموعة من القادة أعمال مدن وأقاليم قادتهم مباشرة إلى السيطرة والانفراد بالسلطة ولم يعدم الرقيق الإمكانيات المادية اللازمة للحفاظ على مكانتهم، وحماية كياناتهم فقد توفر لبعضهم المال الكافي، ورد لدى المنصور الزيري مفتخرا بأحوال دولته المادية لو أن عبدا من عبيدي طلب منه بيوت المال، لوجد ذلك عنده كما أن الرقيق عول في سبيل دعم مواقعه على العلاقات التي نجح قادته في ربطها مع مختلف القوى السياسية القائمة[3]، بمعني أن وصول الرقيق إلى السلطة فقد احتل مواقع متقدمة في رئاسة الدولة[4] وهناك نماذج لرقيق تولى إلى جانب رجل الدولة تسير شؤون البلاد وتعطي مثال على ذلك أمير دولة بني زيري في إفريقية، خاصة في نهاية عمرها، حيث تولى الأمير الحسن بن على الزيري الحكم وعمره 12 عاما سنة «فقام بأمره مولاه صندل ثم مولاه موفق»[5].

---

[1] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص529.

[2] محمود إسماعيل: بيولوجيا الفكر الإسلامي، ج3، طور الانهيار، القسم الأول، ص 171-172

[3] محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص246.

[4] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص 530.

[5] القشقلندي: المصدر السابق،ص 121.

وذكر بن عذارى أمر تولي هو صندل شؤون بلاد إفريقية، في ظروف حرجة، «فقال وتكفل بأمر دولته صندل الخادم، لا لمعرفة ولا سياسة» [1]وهو ما يحمل فكرة مسبقة عن صول العبيد إلى السلطة وتوليهم مناصب في الحكم والسلطة في إفريقية.

الامتزاج الاجتماعي:

من المظاهر العامة لامتزاج العبيد بالمجتمع المغربي المصاهرات ومن امثلتها ما رواه التادلي عن زواج الصوفي الشمس أبو مدين شعيب من جارية حبشية، حصل عليها هدية من ياحر من بجانة الأندلسية وأنجب منها ولدا، ثم زهد فيها ورغبة من أحد تلامذته عبد الرزاق الجزولي، في التحقيق عنه.

وكمثال على ما ذكرنا فقد كان أحمد بابا التنبكتي فقد كانت أمه زنجيه من الزنوج تزوجها والده، ومثال آخر نستدل به ايضا

الى جانب عنصر المصاهرات هناك معلومات تهم رجالا من الصوفيه عرفوا بانتمائهم الى الحبشه مثل مسلم الحبشي والشيخ ابي سعيد الحبشي واعطائهم لقب الحبشي فان دل على شيئ فانه يدل على التحفظ من اختلاط الانساب بين البيضان والسودان وفيه اشاره الى امتزاجهم بالمجتمع المغربي في تلك الفتره.

دولة المرابطين كعامل دمج المغاربة والاندلسيين بالسودان الغربي:

ارتبط إقبال المغاربة على عبيد السودان الغربي بالعلاقات التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا الغربية التي مهد لها المرابطين بانطلاقهم من الصحراء وحفاظهم على نفوذها مع تأمين خطوط التجارة عبر الصحراء، واستقرار العلاقة مع غانة فكان من نتيجة ذلك تدفق السود عبيدا وأحرارا على بلاد المغرب[2].

وبخصوص أعداد الرقيق في المنطقة الصحراوية بين بلاد السودان والمغرب، نعتقد أنها ظلت لافته للنظر حتى فترات لاحق فقد سجل ابن بطوطة في أوساط القرن 8هـ وفترتهم إلى درجة جعلت أهل مدن تكدا وولاته فضلا عن مالي من قلب السودان الغربي يتفاخرون بكثرة العبيد والخدم ويبدو أن سيولة التجارة بصفة عامة وتركز الأموال

[1] بن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص308.

[2] بن مليح: المرجع نفسه، ص202.

بهذه المدن وغيرها كانا وراء هذه الوفرة إذ« لا شغل لأهل تكدا غير التجارة »[1] وفي ذلك ارتباط كبير بتجارة معدن النحاس التي شهرت بها المدينة، حيث كان تجارها يقابضونه بالعبيد والخدم والذرة والسمن والقمح.

إن المغاربة قاموا بدور الوسيط الذي أوصل الرسالة إلى أهل السودان الغربي، كما قاموا بدور آخر وهو رعايةُ الإسلام في تلك الديار بحكم القرب والجِوار وحماية ظهره والدفاع عن وجوده والعمل على إرساخ جذوره وتثبيت دعائمه وتصحيح مسيرته باستمرار. ولذلك فإن الحضور المغربي وتأثيره القوي كانا متميّزَينِ عبر التاريخ عن باقي المؤثّرات الأخرى. فأين تجليَّ هذا الحضور والتأثير؟

من كلمات عبد الله بن ياسين المأثورة لطلابه قوله: (اخرجوا على بركة الله وأنذروا قومكم، وخوِّفوهم عقاب الله، وأبلغوهم حُجته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحقِّ، وأقلعوا عمَّا هم عليه فخلوا سبيلهم، وأن أَبَوْا ذلك وتمادوا في غيهم، ولجُّوا في طغيانهم، استعنا بالله عليهم، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا)[2].

لقد قامت دولة المرابطين على أساس نشر المذهب المالكي، ومحاولة بعث القوى الإسلامية، واستنهاضها، والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى عهد السلف الصالح، واعتمدت في التمكين لنفسها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلنت على البدعة والمنكرات التي انتشرت حربا لا هوادة فيها، فحطمت دنان الخمر، وكسرت آلات الطرب، وطالبت الناس بالقيام بفروض دينهم، ولذلك لقيت دعوة المرابطين الترحيب أينما حلت، واستنجد بها الفقهاء والعلماء لتخليص البلاد من المفاسد والمظالم، وفتحت البلاد والمدن أبوابها لهؤلاء المجاهدين الذين لا يبغون من الحياة الدنيا سوى الإصلاح، وقد توسعت هذه الدولة من مبدأ الجهاد، وأعادت إلى الأذهان صورة الدولة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين، فعاشت من أجل الجهاد طوال فترة حكمها القصير، وسخرت كل مواردها لهذا العمل، وجعلت من البلاد معسكرا ضخما تدوي فيه طبول الجهاد، وبرغم انشغالها الدائم في الجهاد، فإنها لم تغفل النواحي الاجتماعية، والحضارية في هذه البلاد، فأرست قواعد الأمن والطمأنينة بين النـــــاس فـــــازدهرت الحيـــــاة الاقتصـــــادية والثقافيـــــة في أرجـــــاء الدولـــــة[3].

وكان لانتشار المرابطين صوب السودان في الجنوب، وامتداد سلطانهم إلى الأندلس، أن جمعت دولتهم بين المؤثرات الأندلسية والمغربية والسودانية، فألفت بين تراث هذه البلاد ذات الحضارات المختلفة، والثقافات المتباينة، فازدهرت مراكش عاصمة هذا الملك الشاسع، وبلغت أوجها، فكانت "حاضرة الدولة ومقر السلطان وكعبة القصاد، وفد إليها العلماء من كل فج لينعموا بالحياة قريبا من الأمراء، فينالوا رفدهم، وعطاءهم، وقصدها من كل

[1] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص679.

[2] د. محمد عبد القادر أحمد: المسلمون في غينيا ص26.

[3] ابن أبي زرع : روضة القرطاس ص 157.

فحوله، حتى أشبهت حضرة بني العباس في صدر دولتهم"[1] ومع أن المؤثرات الأندلسية كانت موجودة في المغرب من قبل عهد المرابطين، إلا أنها لم تكن تتعدى الإقليم الشمالي، الذي انتشرت فيه المدن، ذات الماضي المجيد، في تاريخ الحضارة الإسلامية مثل فاس، لا تكاد تتخطى هذا النطاق إلى الجنوب، فلم يكن هناك تعاون أو اتفاق بين قسمي المغرب الأقصى، عقبة تحول بين المؤثرات الأندلسية، وبين أن تعم البلاد

وفي عهد المرابطين استطاعت المؤثرات الأندلسية، والمغربية بالتالي أن تتخطى جبال درن في الجنوب، موغلة في إقليم الصحراء، حتى وصلت إلى السودان، حيث الحضارة الزنجية البكر، وحيث وجدت هذه المؤثرات الأندلسية الراقية والمتقدمة من يشجعها من المرابطين، ويأخذ بيدها ويشد أزرها، ويدل على ذلك أن الأمير أبا بكر بن عمر كان يصحب معه الشيخ الفقيه أبا بكر مُحَمَّد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي[2] الذي عرف باختصاصه في علوم الاعتقادات، وهو أول من أدخلها المغرب الأقصى، ونزل أغمات وريكة، فلما عزم الأمير أبو بكر بن عمر التوجه إلى الصحراء ولاه قضاء أزكى[3] من صحراء المغرب وبقي بها إلى أن توفي عام 489 هـ/1096م.

التشريع الإسلامي:

من المبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف المساوات بين الناس ففي الحديث النبوي تصريح واضح بذلك يقول ﷺ "**لا فرق بين أسود ولا أبيض إلا بالتقوى** "والمقولة الشهيرة لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ تبرهن على ذلك «**متى استعبدهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار**»، فالإسلام جاء ليقضي على الرق ويقننه فالأصل في الإنسان الحرية والرق حالة طارئة عليه وامتحان له، لذلك أوصى الإسلام بمعاملة الممالك كعاملة إنسانية وجعل الاجتهاد في تحريرهم من باب العبادة.

2- تجارة الرقيق قبل الإسلام:

ومن هذا المنطق فإن الرقد قد عرضه مختلف الأمم القديمة، وهذا ما يؤكد على أن الرق ظاهرة قديمة ضاربة جذورها في التاريخ، نشأت مع الإنسان والمتسبب فيها هو الإنسان وفيها يخص الأمم فقد عرف الغرب الرق في الفترة الجاهلية والإسلامية على حد سواء، ففي الجاهلية كان مشاهير مكة مثل عبد الله بن جدعان من تجار الرقيق، وتذكر الكتب التاريخية أن عددا من مثاعير الصاحبة كان عبيدا قبل الإسلام متهم: زيد بن حارثة ﷺ

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب ص 164.

[2] التادلي : التشوف في رجال التصوف، رقم 11، ص 106 وانظر مقدمة كتاب السياسة للمرادي الذي حققه الدكتور سامي النشار.

[3] انظر الروض المعطار.

الذي أخططت وهو صغير وباعه الخاطفون في سوق عكاظ[1]، وأوكلت للرقيق عدة أعمال أهمها الرعي الأعمال اليدوية، كما عرفوا العتق كمظهر الكرم لديهم[2].

أ-الرق عند اليهودية:

وقد ربط بعض الدارسين بداية الرق، في المجتمع اليهودي، بانتشار حرفة الزراعة [3]ولكن بعض الإشارات دلت على أن بني إسرائيل عرفوا الرق منذ مرحلة البداوة، فقد باع مجموعة من اليهود وقد ذكر في الكثير من الدراسات أن اليهودية المقدسة تبيح الاسترقاق، وذلك ببروز بني إسرائيل بامتلاكهم بعض الأنبياء للعبيد فيذكرون أن إبراهيم عليه السلام كان يملك غلمانا ورثهم عنه إبنه إسحاق كما ملكت نساءهم العبيد والجواري[4].

ووضعت تشريعات كثيرة تميزت بأنها كانت تفرق بين العبد اليهودي وغير اليهودي، فجاءت مفصلة بالنسبة للفئة الأولى، وأكثر رفقا بهم، من القوانين الخاصة بالفئة الثانية[5].

ويعتبر بنو إسرائيل امتلاك العبد من أصول الثورة، وأسباب الغنى فهم أدوات العمل ووسائل المتعة وقد جاء في التلود أن الله سخر العبيد لخدمة اليهود في جميع المجالات وأعفى هؤلاء من كل الأعمال، ليكون كل شيء جاهزا تحت تصرفهم.

فتنوعت أسباب الاسترقاق ومصادره عندهم، وأن كانت لا تختلف كثيرا عن تلك التي كانت منتشرة بين الشعوب القديمة "الدين"و"الفقر" والسرقة والولادة في الرق، والخطف، والشراء والحرب فيعطي التشريع اليهودي المالك سلطة مطلقة على عبيده، ويحثه في نفس الوقت على أن يعامله معاملة الخدم المأجورين، ومع ذلك فإن السيد يستطيع الإفراط في استغلال عبده وحتى إساءة استخدامه، لأن حياة العبد بيد مالكه.

ب-الرق عند المسحيين:

لم تحرم المسيحية الرق، ولم تحرر العبيد، ولم تلغ حق المسيحيين في الاسترقاق وكان الرقيق منتشرين في جميع الأقطار، التي دانت بها في العصور الوسطى، وراحت تدعو إلى الرفق بهم، وتحسين أحوالهم، واعتبرتهم أخوانا في

[1] حمدي شفيق: الإسلام محرر العبيد، التاريخ الأسود للرق في الغرب، 2 سبتمبر 2012، ص10.

[2] فرحات عبد الكريم: آسرى الحرب عبر التاريخ، دار الطبعة للنشر والطباعة، بيروت،1979، ص12.

[3] سرغاي أتوكاريف: الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة أحد م، فاضل إصدارات ، دار النشر لوليتيزدات موسكو،1976م، ص378-379.

[4] أحمد زكي تفاحة: المرآة والإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1979، ص134.

[5] محمد عبد الله الشرقاوي: مقارنة الأديان، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة1990،ص201.

الدين، اعتماد على ما ورد في الإنجيل من الدعوة إلى المساواة بين الناس، فعيسي عليه السلام أوصى بأن يعامل الفرد غيره كما يجب أن يعامل به[1].

وكان يدعوا جميع العبيد في المقابل إلى احترام سادتهم الذي يدعوا إلى الخضوع التام إليهم وحثهم على تسخير أجسادهم لخدمتهم، والإخلاص لهم قلبا وقالبا[2].

وكان لبعض الحواريين والرسل، تولت الكنيسة نشر المسيحية، والترغيب فيها وتبتت بدورها الخضوع، ودعت الناس لذلك لأنه مطلب رباني، لا يمكن مخالفته، وعلى هذا أسست شرعية الاسترقاق ونصح رجال الكنيسة العبيد بالصبر والبقاء في الرق ولا يتطلع للحرية، ولو قدمت له.

ومن هنا يمكننا القول بأن العبيد السود في ظل النظام الوثني كانوا يعاملون معاملة قاسية في البداية، تم تطورت بطور القوانين المدنية من الكنيسة الداعية إلى تحريرهم وذلك يفسح المجال لهم .

3- تطور نظام الرق و موقف الإسلام في ظل التحولات و موقف الديانات الأخرى :

1.3 بلاد المغرب:

ظهور الإسلام بتعاليمه، السمحة وتعامل مع الرق على أساس كونه حالة اجتماعية سائدة في المجتمع الغربي لذا أبقى الإسلام على نظام الرق وتعامل معه كتعامله بقية المسائل مستخدما التدريج في القضاء عليه، وقد ركزت التعاليم الإسلامية على تجفيف منابعه الكثيرة والمتمثلة في (رق الحروب، ورق الوراثة، ورق الدين) وغيرها كثير، حصرها في متبعين فقط هما(رق الحروب، ورق الوراثة) وإبقائه لرق الحرب كان نابعا من أن إلغاء ذلك الباب من أبواب الرق سوف يجعل من أسرى المسلمين عبيدا لدى العدو مقابل إطلاق سراح أسراهم، وسنحاول في هذا المبحث إسقاط ذلك على بلاد المغرب الإسلامي.

ناقش مجموعة من الدارسين هذا الموضوع وانتهى احدهم إلى أن دولة الإسلام الوسيطة لم تعرف استغلاليات ريفية تعتمد أساسا على عمل عبودي واضح وكثيف، ولم تكن بلاد المغرب في منئ عن ذلك وتعدد مؤشرات علام قيام نظام عبودي في الدولة الإسلامي أي في ظل النظام الإسلامي وأبرزها

1-اقتصار استفادة الدولة من الرقيق عبر المتاجرة فيهم وخاصة من خلال الضرائب التي فرضتها على هذه التجارة

[1] لوبولي كلود: الكفاح من أجل الفقراء، الفيلسوف الجزائري أوغسطين، إفريقية وعالمية، أعمال الملتقى الدولي الأول، الجزائر، عنابة من 01 إلى 07أفريل 2001، منشورات المجلس الاسلامي الأعلى، الجزائر، ج1،ص124،ص 125.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ب،د،ت، ص421

2-اقتصار حضور العبيد على الخدمة المنزلية، وهو قطاع غير منتج وبالتالي غير محدد لنظام عبودي قائم.

3-بروز الرقيق في الوظيفة العسكرية، خاصة من الناحية العددية.

4-ارتفاع أسعار الرقيق في البلاد الإسلامية، مقارنة مع أوروبا، مما أدى إلى وفرتهم هناك، وغدت العبودية «سلوكا» على حد تغير أحد الدارسين.

ومن الدلائل والإشارات الدالة على تحول مكانة العبيد السود في بلاد المغرب في ظل النظام الإسلامي بروز الرقيق في الأدبيات الفقهية التي تخص جميع مراحل حياة الرقيق وخاصة المراحل الأولى من حياته جنينا ثم وليدا ثم رضيعا فقد عمل فقهاء المغرب إلى التعامل معه في هذه المرحلة إلى حمايته بعدم التفريق بينه وبين أمه في البيع وعدم خصائه لما قد يلحق به من ضرر جسماني ونفسي يؤثر دون شك في مسيرته وعطائه كما أن الاهتمام به لقيطا أو ابنا لمسببه، دفع إلى تحديد وضعيتهما في المجتمع الذي التحقا به أو جدا به أصلا.

وقد اهتم الفقه الإسلامي بموضوع زواج الرقيق لأهميته القصوى في تحديد مصير الرقيق من حيث حياته الخاصة تحت سقف الزوجية ومن حيث وضعيه أبنائه ومصيره سواء في ظل الاسترقاق أو الحرية، ويرتبط بهذا الموضوع جانب مقابل له وهو طلاق الرقيق، كل هذا أدى في الأخير إلى تنظيم الحياة الاجتماعية لهؤلاء الرقيق في بلاد المغرب، رغم أن الشرع لم يكن خاطئ باستمرار في المجتمع المغربي خاصة في عمليات بيع وشراء أولئك الرقيق.

2.3 في بلاد السودان(مالي-غانا-سنغاي).

حظي الرقيق في ظل الحكم الإسلامي لبلاد السودان بمكانة كبيرة على عكس مكانتهم لدى شعوب الارض في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، على الرغم من عدم صدور قرار رسمي بتحريم الرق في القرآن الكريم أن عملية القضاء على الرق جاءت مرتبة ومتأنية وحققت نتائج كبيرة عبر تجفيف منابع الر وحصرها في رق الوراثة ورق الحروب، وما يثبت المكانة التي وصل إليها أولئك الرقيق استلام عدد كبير من رقيق السودان في بلادهم مناصب كبيرة وصلت لحد السلطة وفي هذا المبحث سنحاول إعطاء أمثلة تاريخية دالة على ذلك في كل من مالي وغانا وسانغاي[1].

صور لنا أحمد بابا التنبكتي وهو خبير في الشؤون السودانية وأبرز الوجوه العلمية، الحالة التي كان يستعبد من خلالها الناس بهذه الأقاليم، والأمر الذي سهل النخاسة الحروب بين صغار الملوك، حيث كانوا يستبدلون العبيد

[1] بشار أكرم جميل: الموفقين العربي والأوروبي من الرقيق الأفارقة في القرنين 10هـ/11هـ، 15م/16م،مجلة القراءات الإفريقية، عدد 28 أفريل 2016، ص58.

بشرائح الملح والمنسوجات وطريقة امتلاكهم يحرمها الإسلام الذي ضيق سبل استرقاقهم كما أسلفنا الذكر[1]، وهذا كان أبرز الأسباب التي كان لها أثر في تقلص عدد الرقيق في السودان، ونذكر على سبيل المثال ذكر ابن حجر العسقلاني أن أجد رقيق السودان الغربي يدعى صبيح بن عبد الله التكروري[2] المتوفى عام 731هـ/1330 كان يجلس رفقة أبناء سيد وهو طفل صغير –للسماع من الشيخ النجيب الحراني (م 672هـ) والشيخ شمس الدين بعد العماء(من أهل القرن السابع هـ) ثم نجح صبيح التكروري في تحرير نفسه من الرق بخمسمائة درهم جمعها من صنعة الكلوتات وحرص على المجاورة بالأزهر الشريف وتلقى العلم وتعليمه[3].

وفي إشارة أخرى قد تستدل بها في التحولات العامة في مكانة العبيد في ظل النظام الإسلامي في السودان الغربي ما أسهمت به رحلات الحج في تعميق الثقافة الدينية للرقيق وتحصيل العلم أحيانا هذا من جانب ومن جانب آخر فقد حققت هذه الرحلات لهؤلاء العبيد مكاسب مادية فمن المرجع أن الرقيق حظوا بما حطي به غيرهم من الأعطيات والمنح التي تنافس في تقديمها سلاطين السودان الغربي فقد جرت العادة أن يمنح السلطان الهدايا والهبات لكل الحجاج عقب عودتهم من الأراضي المقدسة، ونرجع استفادة الرقيق من هذه الأعطيات والهدايا[4].

وقد كان لهؤلاء العبيد دور بارز في الحياة السياسية بعد هذه المرحلة ونقصد بذلك في الدولة الإسلامية فضلا عن مشاركتهم في الجيوش العربية الإسلامية فقد تولوا قيادة بعض فرق تلك الجيوش، وفي بعض الأحيان كانوا قادة سياسيين فالإسلام كما ذكرنا عد الناس أخوة لا يميزهم إلا بالتقوى والإيمان وقد كان لهذه التعاليم الإسلامية تأثير واضح على المسلمين في إفريقيا على الرغم من وجود بعض المؤثرات الطبقية الداخلية التي ورثها[5].

الأفارقة أنفسهم على أسلافهم الوثنين وعلى هذا الأساس فقد تسلم العديد من الرقيق أو من الذين تعود أصولهم إلى الرقيق مناصب سياسية هامة.

---

[1] لأحمد بابا التنبكتي : "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان "،مجلة الحضارة الإسلامية، العدد23 رمضان 1453/جويلية 2014، تحديد وضعية عبيد توات من خلال () ص176.

[2] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج2، ص205.

[3] ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص205.

[4] بطل شعبان محمد:" دور الرقيق خلال رحلات الحج الملكية في السودان الغربي عصر مملكتي مالي وضغي: ،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية: العدد التاسع أكتوبر 2020(،)، ص158.

[5] أكرم جميل الملاح : "الدور السياسي للرقيق الأفارقه في مصر وبلاد السودان "،مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا العدد4، 01 جانفي 2021، ص50.

وكمثال على استسلام العبيد لمناصب مرموقة ما حصل في دولة مالي حينما اغتصب ساكوره الحكم من أبي بكر حفيد ماري جاطة الذي حكم بلاد من (674هـ-684هـ) فتسلم ساكوره الحكم في تلك السنة وكان رجلا ذا إمكانيات عالية وله شعبية كبيرة في أوساط الماليين، وقد أصبح في نظر الشعب الحاكم القوي الذي عاد إلى مالي هيبتها وحرص أشد الحرص على مد نفوذها[1].

وقد ذكر ابن خلدون أنه "افتتح بلاد كوكو و أصارها في مملكة أهل مالي"[2].

إن ظاهرة استلام الرقيق للسلطة بدأت داخل إفريقيا منذ عهد دولة غانة إلا أنها أصبحت أكثر وضوحا في عهد دولة مالي التي وصل فيها بعضهم إلى مناصب خطيرة ومهمة كما حصل مع ساكوره وغيره، وهذا يدل على تسامح الإسلام مع الرقيق على عكس الحظر المفروض على الرقيق في أوروبا والعالم أجمع من غير المسلمين والتي لا يمكن للرقيق فيها أن يتخطوا طبقتهم ومهمتهم.

وفي دولة السنغاي كان مستشار الأسكيا الحاج مُحَمَّد الأول وأسين سره من الرقيق يرافقه في جميع رحلاته.

فضلا على ذلك، فقد أسهم الرقيق الأفارقة في نجاح الكثير من معارك دولة السنغاي ضد الوثنيين، فقد كانت تشكيلات الجيش ولاسيما صنف المشاة يزخر بالمقاتلين الأشداء الذين أخضعوا كل وادي النيجر تحت راية الإسلام، كما أسهم الرقيق في تشكيلات الحرس الملكي التي تقوم بمهام حماية السلطان أو الحاكم في البلاد، لما يتمتع به أفراد ذلك الصنف من موهبة قتالية وتدريب عال وانضباط وأمانة للحد الذي دفع بحكام البلاد لاختيار قادتهم العسكريين من بين أبناء ذلك الصنف.

ويبدو مما سبق وغيره بشكل جلي اندماج الرقيق الأفارق في الدولة العربية الإسلامية ومعاملتهم معاملة الأحرار في المشرق والمغرب الإسلامي.

بعد أن تطرقنا ف الفصول السابقة إلى كل ما بتعلق بالرقيق وصولا إلى المعاناة التي عانى منها الأفريقيين في ظل السيطرة لأوروبية المشحونة بالكرة والعنف ضد الأفارقة السود، بحيث أن الأوروبي كان يرى في الإفريقي أداة غير ناطقة يتم استغلالها وإذلالها والاعتداء عليها، فلا قانون يحمي هؤلاء ولا يقدر أن يحمي نفسه[3].

[1] مجلة العبر للدراسات التاريخية: ص50.

[2] إبن خلدون: المصدر السابق، ج6،ص200.

[3] فرغلي علي تسن هريدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف الاستعماري الاستقلال، ص90.

لذلك فقد تعالت الأصوات المنددة ببشاعة هذه التجارة نظرا للضرر الذي لحق بالأفارقة سواء في أجسادهم أو في عقولهم أ في نفوسهم و فقد طلت لإفريقيا مسرحا للتجارة في اللحوم البشرية، بكل ما في هذه التجارة من قسوة واستهانة بالبشر نحو ثلاثة قرون[1].

ناقش مجموعة من الدراسيين و الفلاسفة هذا الموضوع، وانتهى أحدهم إلى أن دولة الإسلام لم تعرف استغلاليات ريفية تعتمد أساسا على عمل عبودي واضح وكثيف[2] ،ومن هنا فقد قامت ثورة، أو ما يعرف بثورة الرقيق والمعروفة "بثورة الزنج"[3]

[1] أحمد لإبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ للنش والتوزيع، الرياض، بيروت، 1981، ص 97.

[2] عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص360.

[3] البكري: المسالك و الممالك ، ترجمة جمال طلبية، مج 1 روت، 2003،ص 242.دار الكتب العلمية، بيروت 2003،ص 242.

خـــاتـــمـــة

عرف الرق كنظام اقتصادي اجتماعي تطورات جمة في ظل الإسلام وهذا بفضل جهود الرعاة والتجار كونهم أبلوا البلاد الحسن في مجال المعاملة الإنسانية مما زاد في رفعة الإسلام الذي أبدى إلتزام بضرورة بث روح التآخي والتآزر فضلا عن المساواة.

لعبت التجارة والحروب الدور البارز في جلب أعداد هائلة من العبيد إلى بلاد المغرب ونظرا للقرب الجغرافي لبلاد السودان من بلاد المغرب كان العبيد السود العنصر الأكثر تواجد

اقتصرت أدوار العبيد السود في بلاد المغرب في بادئ الأمر على الخدمة المنزلية والأعمال الشاقة الموكلة إليهم كون هؤلاء العبيد عرفوا ببنيتهم الجسدية القوية التي كانت تصلح لمثل هذه الأعمال

مع التطورات التي عرفتها بلاد المغرب في القرون الوسيطة المتقدمة في المجال الاقتصادي والسياسي والعسكري والثقافي لم يكن العبيد السود في منىء عن تلك التطورات لاحظنا تحولات كبيرة طرأت في مكانة هؤلاء العبيد فقد تقلدوا مناصب مرموقة على المستوى السياسي والعسكري والإداري كالوزراء والحاجبة وكانوا أحيانا مستشارين للقادة أثناء الحروب ووصلوا في بعض الأحيان للحكم ولعبوا دور مهم في التطورات الكبيرة التي طرأت في الجانب الاقتصادي في بلاد المغرب

كان لهؤلاء العبيد تأثيرات واضحة على المجتمع المغاربي من خلال امتزاجهم مع كافة شرائح المجتمع كذلك من خلال تولي الإماء مهمة تربية الأطفال في المنازل وما كان له من تأثير بالغ في نقل ثقافة هؤلاء العبيد وانتشارها في بلاد المغرب.

ملاحق

تجارة العبيد السود وامتلاك الخدم في السودان الغربي

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- الكتاب

- ابن أبي الزرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنشور للطباعة والنشر ، الرباط 1973

- إبن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، دار الكتاب العربي القاهره ،1967

- ابن الزيات التادلي : التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق احمد التوفيق الطبعة الثانية 1997

- ابن الصغير :أخبار الأئمة الرستميين تحقيق مُحَّد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ،1986

- ابن الوزان الزياتي: وصف جغرافي لبلاد السودان، تنسيق ورفع عبد الكافي، ترجمة د عبد الرحمان، مكتبة الأسرة، 2005.

- ابن حزم الأندلسي : المحلي بالأثار ،دار الكتب العلمية، ج 9

- إبن خلكان: وفيات الأعيان، ج4

- ابن رشد القرطبي: المقدمات و الممهدات،تحقيق الأستاذ سعيد أحمد أعراب ،ج 2،الطبعة الأولى 1988

- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج 2، د.ت.

- أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك تحقيق أدريان فان ليوفن و أندري فيري ، الدار العربية للكتاب 1992 .

- إبي بكر بن علي الصنهاجي المكي بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، دار المنصور للطباعة، 1975

- أبي حامد الغرناطي: تحفة الألباب و نخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1993 .

- أحمد زكي تفاحة: المرآة والإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1979 .

- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج الأول مكتبة الثقافة الدينية ، 1989

- البكري: المسالك و الممالك ، ترجمة جمال طلبية، مج 1 روت، 2003،ص 242.دار الكتب العلمية، بيروت 2003،ص 242.

- القاضي النعمان: كتاب المجالس والمسايرات تحقيق الجيب الفقي وإبراهيم شبوح ومُحَّد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- القريوني:آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ،بيروت .

- الوسياني: سير مشايخ المغرب، ،مخطوطة مصوره

- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب مطبعة الإستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1949.
- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج2.

ثانيا: المراجع

1- الكتاب

- إبراهيم القادري ، الإسلام السري في المغرب العربي ، سينا للنشر ، 1995.
- إبن عبد المالك: الذيل والتكملة،م س .
- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي:كتاب السير تحقيق أحمد سعود السيابي الجزء الأول ،الطبعة الثانية 1992
- أحمد جمال طه: المرجع السابق، : مدينة فاس في العصري المرابطي والموحدي 448هـ/105م إلى 668هـ/1269م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر2001 .
- أحمد سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع، دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1979 .
- أحمد لإبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ للنش والتوزيع، الرياض، بيروت، 1981 .
- حمدي شفيق: الإسلام محرر العبيد، التاريخ الأسود للرق في الغرب، 2 سبتمبر 2012 .
- د. مُحَمَّد عبد القادر أحمد: المسلمون في غينيا
- سرغاي أتوكاريف: الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة أحد م، فاضل إصدارات ، دار النشر لوليتيزدات موسكو،1976م،
- فرحات عبد الكريم: آسرى الحرب عبر التاريخ، دار الطبعة للنشر والطباعة، بيروت،1979 .
- محمود إسماعيل: بيولوجيا الفكر الإسلامي، ج3، طور الانهيار، القسم الأول.
- جمال أحمد طه: مدينة فاس في العصري المرابطي والموحدي 448هـ/105م إلى 668هـ/1269م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر2001.
- جوري زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي طبعة جديدة ، راجعها وعلق عليها حسين مؤنس ، دار الهلال ،ج5 ،
- خالد حسين محمود: الرقيق و النشاط الحرفي ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام
- سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ب،د،ت،
- شهاب الدين أحمد التيفاشي: نزهة الألباب فيها لا يوجد في كتاب ،. تحقيق جمال الدين جمعة، ط1، رياض الريس، لندن،1992 .

- عبد الإله بنمليح : الرق في بلاد المغرب و الأندلس ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 2004.
- فرغلي علي تسن هريدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف الاستعماري الاستقلال .
- لوبولي كلود: الكفاح من أجل الفقراء، الفيلسوف الجزائري أوغسطين، إفريقية وعالمية، أعمال الملتقى الدولي الأول، الجزائر، عنابة من 01 إلى 07أفريل 2001، منشورات المجلس الاسلامي الأعلى، الجزائر، ج1 .
- مجموع رسائل موحدية: المطبقة الاقتصادية،1991,1990.
- مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي: مقارنة الأديان، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة1990 .
- مصطفي إبراهيم و آخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د ط، إسطنبول، 1960.
- هاشم العلوي القاسمي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4 هـ ،ج1، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامي، مطبعة فصالة المحمدية 1995

2- المجلات

- أكرم جميل الملاح : "الدور السياسي للرقيق الأفارقه في مصر وبلاد السودان "،مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا العدد4، 01 جانفي 2021 .
- بشار أكرم جميل: الموفقين العربي والأوروبي من الرقيق الأفارقة في القرنين 10هـ/11هـ، 15م/16م،مجلة القراءات الإفريقية، عدد 28 أفريل 2016،
- بطل شعبان مُحَمَّد:" دور الرقيق خلال رحلات الحج الملكية في السودان الغربي عصر مملكتي مالي وضغي: ،مجلة الدراسات التاريخية ولحضارية المصرية: العدد التاسع أكتوبر 2020
- دورية كان التاريخية :العدد 56 ماي 2022 ،الدكتور حامد العجيلي : الدور الإقتصادي للعبيد في افريقية خلال القرن الأول والقرن الرابع الهجري
- لأحمد بابا التنبكتي : "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان "،مجلة الحضارة الإسلامية، العدد23 رمضان 1453/جويلية 2014، تجديد وضعية عبيد توات من خلال ()
- مجلة العبر للدراسات التاريخية

3- المذكرات

- مقادم عبد الحميد: المدارسي العلمية ودورها الثقافي في السودان الغربي مالي- سنغاي، 7-10هـ/ 16-13م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراء في تاريخ الحضارة الإسلامية، نعمية عبد المجيد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية فتم الحضارة الإسلامية جامعة بن بلة.

فهرس المحتويات

المحتويات

الإهداء الأول.....5

الإهداء الثاني.....6

الشكر والعرفان.....7

مقدمة.....8

الفصل التمهيدي: ضبط مفاهيم الدراسة.....10

1-مفهوم الدور.....10

2-تعريف الرق:.....10

3- مصطلح السودان الغربي.....10

الفصل الأول: وصف حالة العبيد السود في بلاد المغرب.....14

1- وصف مأكل العبيد السود.....14

2-وصف ملبس ومسكن العبيد السود.....15

3- الرق والخدم و الأعمال المنوطة بهم:.....17

الفصل الثاني: مكانة العبيد السود في مجتمع بلاد المغرب.....22

1-مكانة العبيد الاقتصادية:.....22

2-مكانة العبيد السياسية:.....26

3-مكانة العبيد السود العسكرية:.....29

الفصل الثالث: ملامح التحولات العامة في مكانة العبيد.....36

1-أسباب التحولات العامة في مكانة العبيد:.....36

تجارة الرقيق قبل الإسلام: 39

3- تطور نظام الرق و موقف الإسلام في ظل التحولات و موقف الديانات الأخرى : 41

1.3 بلاد المغرب:..... 41

2.3 في بلاد السودان(مالي-غانا-سنغاي)..... 42

خـاتـمـة 43

قائمة المصادر والمراجع..... 43

ملخص

الرق عرف كنظام اقتصادي و اجتماعي فقد عرف تطورات جمة في ظل الإسلام هذا بفضل جهود الرعاة والتجار كونهم أبلوا في البلاد البلاء الحسن في المعاملة الإنسانية مما زاد في رفعة الإسلام الذي أبدى التزام بضرورة بث روح التأخر والتآزر فضلا عن المساواة .

لعبت التجارة والحروب الدور البارز في جلب أعداد هائلة من العبيد ونظرا للقرب الجغرافي لبلاد السودان من بلاد المغرب كان العبيد السود العنصر الأكثر تواجد اقتصرت أدوارهم في بلاد المغرب على الأمر بالخدمة المنزلية والأعمال الشاقة الموكلة إليهم كون هؤلاء العبيد عرفوا بنيتهم الجسدية القوية التي كانت تصلح لمثل هذه الأعمال، ومع التطورات التي عرفتها بلاد المغرب في القرون الوسطه المتقدمة في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية لم يكن العبيد السود في منء عن تلك التطورات لأحطنا تحولات كبيرة طرأت في مكانة هؤلاء العبيد فقد تقلدوا مناصب مرموقة على المستوى السياسي والعسكري والإداري كوزراء وحاجبه وكانوا أحيانا مستشارين للقادة أثناء الحروب ووصلوا في بعض الأحيان للحكم ولعبوا دور مهم في التطورات الكبيرة التي طرأت في الجاني الاقتصادي في بلاد المغرب.

كان لهؤلاء العبيد تأثيرا واضحة على المجتمع المغاربي من خلال امتزاجهم مع كافة شرائح المجتمع كذلك من خلال تولي الإماء مهمة تربية الأطفال في المنازل وما كان له من تأثير بالغ في نقل ثقافة هؤلاء العبيد وانتشارها في بلاد المغرب

الكلمات المفتاحية: العبيد،الرق ، الغرب الاسلامي

Summary of the memo Slavery was known as an economic and sociol pystem many derlopments under islam thanhes to the efforts of shepherds and merchants as they have a chieved good results in the field of human treatment which increased the elevation of islam .which a sohoued commitement to the necessity of fostering brotherhood. .Consultation and equality

Trade and wars plqyed a prominent role ingetting huge numliers of slqves to the maghreb countries. and becowse of the geographic prioscimity to sudan country to the maghreb countrie blacke slaves were .numerous

The roles of the slaves in the Maghreb weve limieted to ordering domestic sevces and hard worh assigned them. As thaves were known .for their shong physical build which was suitable for such worh

The developments that the mqghreb countries experienced in the advqnced middle ages in all aspcts whether economic or cultural. Intellectual politcal and nitarily. Blacke slaves weve not to thes immune developments.we have moticed major major status of these slaves asthey held prestigious positions at the political military and administuve levels as ministers and pilgrims. They sometimes adrisors to leaders during wars wars and sometimes reached power. They played an important role in the major clevelоments Im the maghreb thqt occurred in the econo;ic qspect. The slqves had a clear inpact on the maghreb community through their interaction with segments. It was alse evicdent through the female. Tahine on the tash of raising chiden in homes which had an impact om transmitting and spreading the culture of .thasa slaves in the Maghreb countries